الترابط اللفظي والمعنوي للآيات القرآنية في تفسير الإمام العسكري عليه السلام

The Verbal and Semantic Interconnection of Quranic Verses in Imam Al-Askari's (PBUH) Interpretation

م. سهاد حسين العزاوي

مديرية تربية محافظة النجف الأشرف

Lect. Suhad Hussein Al-Azawi

Directorate of Education in Al-Najaf governorate

الترابط اللفظي والمعنوي للآيات القرآنية في تفسير الإمام العسكري عليه السلام

الملخص:

تختص هذه الدراسة بالبحث عن أوجه الترابط في الآيات المذكورة في روايات الإمام العسكري عليه السلام، إذ لحظت الباحثة وجود آيات قرآنية قام الإمام عليه السلام بتفسيرها؛ إلا أنه لم يكتفِ بتفسير الآية منفردة؛ بل قام – وفي أحيان كثيرة– بربطها بآيات أخرى بالاستعانة بالمنهج الترابطي، وبناء عليه فقد لحظنا وجود نوع من الترابط بين تلك الآيات الكريمة التي يفسرها الإمام عليه السلام، وهذا الترابط إما أن يكون لفظياً بأن ترد ألفاظ معينة تربط بين الآيات الكريمة، وفي أحيان أخرى قد لا يكون بين الآيات أي نوع من الترابط اللفظي، وإنما يأتي الرابط بينها معنوياً خالصاً، علماً أن الآيات المتوخاة في الربط قد تكون من سورة واحدة أو من سور متعددة.

وبناء على ما ذُكر فقد اختص البحث بدراسة الروابط اللفظية، وخاصة التي تتعلق بالألفاظ المتكررة التي تنتمي إلى جذر لغوي واحد، أو الألفاظ المتقاربة في المعنى التي تنمي إلى حقل دلالي واحد، وكذلك دراسة الروابط المعنوية التي تتعلق بالربط بين التفسير الظاهري والتفسير الباطني عن طريق الاستعانة بعلاقة التشابه، أو الروابط التي تتعلق بالربط بين التفسير المادي والمعنوي عن طريق الاستعانة بعلاقة التفسير والبيان.

الكلمات المفتاحية:

الروابط اللفظية، الروابط المعنوية، الرواية، تفسير الإمام العسكري عليه السلام.

The Verbal and Semantic Interconnection of Quranic Verses in Imam Al-Askari's (PBUH) Interpretation

Abstract:

This study investigates the aspects of interconnection in the verses mentioned in Imam Al-Askari's (PBUH) narrations, as the researcher noticed the that the Imam interpreted certain Quranic verses. However, he did not interpret a single verse; rather, he, on many occasions, linked it with other verses by employing the interconnection approach. Hence, we noticed that there was a kind of interconnection between those noble verses interpreted by the Imam. This interconnection is either verbal using certain words relating the noble verses. In other cases, there was not any verbal interconnection between the verses, but rather a purely semantic connection. It is worth noting that the intended verses in the interconnection may be from a single sura or from several suras.

Based on what is mentioned above, the study focused on studying the verbal connectors, particularly those related to repeated words belonging to a single linguistic root, or words with approximate meanings belonging to a single semantic field. In addition to studying the semantic connectors related to the linking between the external and internal interpretation through via similarity relationship. Or, the connectors related to the linking between the material and spiritual interpretation via the relationship of interpretation and explanation.

key words:

Imam Al-Askari's (PBUH) Interpretation, Narration, Verbal Connectors, Semantic Connectors**.**

المقدمة

الإشكالية التي ذكرها العلماء حول تفسير الإمام العسكري عليه السلام، قبل الخوض في ماهية الروابط اللفظية والمعنوية، فإنه لا بد من الإشارة في هذه المقدمة البسيطة إلى أن التفسير المنسوب إلى الإمام العسكري عليه السلام، قد وُجهت له العديد من الإشكالات التي تعلقت مرة بمؤلف الكتاب، وتعلقت مرة أخرى بالتفسير نفسه، وبناء عليه رأت الباحثة أنه لا يمكن غض البصر عن تلك الإشكالات التي ذكرها العلماء في كتبهم وفصلوا القول فيها والرد عليها، ليتسنى للقاريء تكوين فكرة عامة عنها، والاطلاع أيضاً على كيفية معالجة العلماء لها، في ضوء ما توفر لهم من الدلائل على صحة كثير من الروايات التفسيرية الواردة في الكتاب... ومن أبرز تلك الإشكالات:

أولاً: الإشكالات حول راوي التفسير.

اختلف العلماء في ناقل الأحاديث أو المفسر الذي أملى الإمام العسكري عليه السلام عليه هذه الروايات المجموعة في تفسير الإمام العسكري، وقد كان نتيجة هذا الاختلاف أن ظهر عدد من الإشكالات المتعلقة بالتفسير المذكور ومن أبرزها[1]:

١- إن هذا التفسير جَمَعه الحسن بن خالد البرقي، كما ذكر ذلك ابن شهر آشوب في معالم العلماء. وبناء على هذا القول فإنه يوجد تفسيران لناقلين مختلفين عن الإمام العسكري عليه السلام.

٢- استظهر المحقّق الطهراني في الذريعة بقرائن عديدة أنّ هذا التفسير يرويه البرقي عن الإمام أبي الحسن الثالث عليه السلام، لا أبي محمّد الحسن بن علي عليه السلام فلاحظ. وبناء على هذا القول فإن التفسير لإمامين مختلفين.

٣- إنّ الصدوق يروي روايات هذا التفسير بصور مختلفة الطريق: منها: وهي الأكثر في كتبه، (عن المفسّر[2]، عن الولدين، وهما يوسف بن محمّد بن زياد،

---

(١) ينظر: التبريزي، السيد محمد صالح، محاضرات بحوث في مباني علم الرجال، ص٢٢٨- ٢٣٣.

(٢) وقوله (المفسر) مشتبه بين اثنين أحدهما: محمّد بن علي الإسترابادي، والثاني: محمّد بن القاسم الجرجاني، وكلاهما رويا عن الولدين (وهما يوسف بن محمّد بن زياد، وعلي بن محمّد بن سيّار) ويسنده بعد ذلك عن أبويهما، ينظر: التبريزي، السيد محمد صالح، محاضرات بحوث في مباني علم الرجال، ص٢٢٨.

وعلي بن محمّد بن سيّار) ويسنده بعد ذلك عن أبويهما.

ومنها: (حدثنا محمّد بن القاسم الجرجاني المفسّر رحمه الله، قال: حدثنا يوسف بن محمّد بن زياد، وأبو الحسن علي بن سيّار، وكانا من الشيعة الإمامية، عن أبويهما، عن الحسن بن علي بن محمّد عليه السلام. وهذا القول يعني وجود اختلاف في سند الكتاب الذي اعتمده العلماء دليلاً على اتصال سند الاحاديث المروية فيه، أي صحتها.

ولكن الأغلب بين العلماء- فيما يتعلق بهذه النقطة- أن تفسير الإمام العسكري مروي عن (محمّد بن القاسم المفسّر الجرجاني، يوسف بن محمّد بن زياد، وعلي بن محمّد بن سيّار، عن أبويهما، عن مولانا ومولى كافة الأنام أبي محمّد الحسن العسكري: الحديث). وهو للإمام العسكري وليس لإمام آخر.

ثانياً: الإشكالات الواردة حول التفسير نفسه.

لم تقتصر إشكالات العلماء حول تحديد هوية المؤلف(الناقل) لتفسير الإمام العسكري فحسب؛ بل وردت إشكالات أخرى تتعلق بالتفسير نفسه منها[1]:

١- عدم صحّة كثير من الوقائع التاريخية المرتبطة بالسيرة، أو بعض الوقائع التاريخية عن الماضين قبل الإسلام.

٢- إنّ الكتاب مشحون من إجابتهم عليهم السلام إلى كلّ ما اقترحه الكفار المخالفون من معجزات، وهو خلاف كثير من الآيات الدالّة على عدم إجابته صلى الله عليه وآله لمقترحاتهم، كما في قوله تعالى في سورة الإسراء: ﴿**وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِي هذَا الْقُرْآنِ مِن كُلِّ مَثَل فَأَبَى أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُوراً * وَقَالُوا لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الأَرْضِ يَنْبُوعاً * أَوْ... قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنتُ إِلاَّ بَشَراً رَسُولاً**﴾[2]. فضلًا عن أنّه لو كانت هذه المعجزات وقعت عنه صلى الله عليه وآله وعنهم عليهم السلام لرواها علماء الإمامية.

٣- إنّ الكتاب لو كان من الإمام العسكري عليه السلام لنقل شيئاً منه علي بن إبراهيم القمي، ومحمّد بن مسعود العياشي اللذان كانا في عصره عليه السلام- ومحمّد بن العبّاس بن مروان الذي كان مقارباً لعصره عليه السلام - في تفاسيرهم.

٤- إنّ أحمد بن الحسين الغضائري قد

---

(١) التبريزي، السيد محمد صالح، تقرير محاضرات الشيخ محمد السند، بحوث في مباني علم الرجال، ص٢٤١- ٢٤٤.

(٢) سورة الإسراء، الاية ٨٩- ٩٣.

طعن فيه، وقال إنّ محمّد بن أبي القاسم الذي يروي عنه ابن بابويه ضعيف كذّاب روى عنه تفسيراً يرويه عن رجلين مجهولين، أحدهما يعرف بيوسف بن محمّد بن زياد، والآخر علي بن محمّد بن سيّار عن أبويهما عن أبي الحسن الثالث عليه السلام. والتفسير موضوع عن سهل الديباجي عن أبيه بأحاديث من هذه المناكير.

٥- إنّ ما ينقله الصدوق وصاحب الاحتجاج من ذلك الكتاب من الروايات ليس فيها ما ينكر، بخلاف النسخ الموجودة بأيدينا. ويشهد لهذا التغاير أنّ في سند الصدوق والطبري رواية الولدين عن أبويهما عن الإمام العسكري عليه السلام، بينما في النسخ الموجودة الرواية عن الولدين عن العسكري عليه السلام.

هذه هي أبرز الإشكالات التي عرضها العلماء حول التفسير الذي نحن بصدده، ولا بد من الإشارة هنا إلى أن الشيخ (محمد السند) قام بالرد على هذه الإشكالات الواردة حول تفسير الإمام العسكري عليه السلام، وذكر أن كثيراً من المحدّثين قد نقلوا روايات من تفسير الإمام العسكري، ومن أبرزهم الشيخ الصدوق (ت٣٨١هـ) الذي أفتى – في مقدمة كتابه (من لا يحضره الفقيه) بصحة كل ما يرويه، ولو كانت كل الأحاديث المروية في هذا الكتاب مشكوكة أو غير صحيحة لما استعان الشيخ الصدوق بها وذكرها في كتابه[1]، فضلًا عن كثير من العلماء الذين نقلوا عن التفسير كالعلامة المجلسي (ت١١١٠ أو ١١١١هـ)... وغيره. والمقام لا يتسع لذكر جميع الردود الواردة حول الإشكاليات المتعلقة بتفسير الإمام العسكري عليه السلام، ولكنا حاولنا أن نبرز أهم النقاط المذكورة حول هذا التفسير، التي كانت من أهم الأسباب في ابتعاد كثير من الباحثين عن الأخذ منه والاعتماد عليه.

وزيادة في الاحتراز فإن الباحثة ستحاول أن تجد للأحاديث التي تستعين بها في البحث، مؤيداً أو سنداً من الكتب الأخرى، سواء من كتب الإمامية، أو كتب الجمهور من المفسرين أو المحدثين؛ ليكون ذلك دليلاً على صحة ما ورد من روايات تفسيرية للآيات الكريمة في الكتاب موضع البحث.

(١) للاستزادة من هذا الموضوع ينظر: التبريزي، الشيخ محمد السند محمد صالح، محاضرات بحوث في مباني علم الرجال، ص٢٢٥- ٢٥٣.

المبحث الأول

الترابط اللفظي في روايات الإمام العسكري عليه السلام

توطئة

يُقصد بالترابط اللفظي هي الروابط الظاهرة التي تكون بين أجزاء النص، وتكون بمستويات مختلفة، على مستوى الحروف، والكلمات، والجمل، والتراكيب، وبعبارة أخرى هي العلاقات التي تتم بين عنصر وآخر وارد في جملة سابقة أو جملة لاحقة[١]، وقد تكون بين جمل متعددة في مواضع مختلفة من السور القرآنية، إلا أنه يسهل إدراك تلك العلاقات اللفظية؛ لأن تلك «الصيغ الفنية التي ترد في السورة أو الآيات تدل على ترابط الموضوع، فالألفاظ تنتمي إلى عائلة لغوية واحدة، أو شجرة واحدة أو حقل دلالي واحد، ...ويُشترط لفهم معنى كلمة هو موقعها بين مجموعة كلمات متصلة بها دلالياً مما يعني دراسة العلاقة بين المفردات»[٢].

والعلاقات اللفظية تتنوع بين أن تكون ألفاظاً تتشابه من حيث رجوعها إلى جذر واحد، أو تكون متقاربة تنتمي إلى شجرة واحدة، وحقل دلالي واحد: «فلو وجدنا نصاً تغلب فيه كلمات ذات جذر واحد كـ(القيام، قائم، يقوم، قام) فربما يكون موضوعه القيام؛ لأن هذه الكلمات المنتمية إلى عائلة لغوية واحدة تقربه من كونه موضوعاً واحداً متواشج العرى، وكذا الحال لو كثرت على لسان النص كلمات مثل (القيام، النهوض، الوقوف) فهذه الكلمات... وإن كانت مأخوذة من مادة لغوية مختلفة إلا أنها تحمل معاني متقاربة تنفع في سير موضوع واحد، ومعرفة مدى الاتصال بين أجزاء الكلام»[٣].

وبناء على ما تقدم فإنه يمكن القول بأن الروابط اللفظية غالباً ما تحصل بتكرار الألفاظ المتشابهة، أوعن طريق الألفاظ المتقاربة في المعنى والدلالة، ولذا جرى تقسيم هذا المبحث ليشمل: الربط بين الألفاظ المتكررة، والربط بين الألفاظ المتقاربة.

---

(١) ينظر: نجم، إقبال وافي، البعد الترابطي في القرآن الكريم- دراسة تفسيرية، ص٤٢- ٤٣.

(٢) أسعد، مهدي، جدل اللفظ والمعنى، ص١٤٣.

(٣) آل موسى، علي، التدبر الموضوعي في القرآن الكريم، ص٥٠٥.

المطلب الأول: الربط بين الألفاظ المتكررة.

أولاً: الربط بين الألفاظ المتكررة في الآية الواحدة.

يعمد الإمام العسكري عليه السلام في تفسيره إلى الربط بين الكلمات المتكررة في الآية الواحدة من السورة نفسها؛ لإبراز معانيها المختلفة على الرغم من تكرار اللفظ نفسه، ولا بد من الإشارة هنا، وقبل ذكر المثال من الرواية التفسيرية، إلى أن الباحثين المُحدَثين ذكروا بأن التكرار يعد أحد وسائل تماسك النص، وكذا يُسهم التكرار في تدعيم النص؛ ولأجل ذلك يُوَظف من أجل تحقيق العلاقة المتبادلة بين العناصر المكونة للنص[١].

ومن الأمثلة على ذلك ما جاء في تفسير الإمام العسكري عليه السلام إذ روي أن الإمام العسكري «قال..: قال رسول الله صلى الله عليه وآله لكفار قريش واليهود: (**كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللهِ**[٢]) الذي دلكم على طرق الهدى، وجنبكم إن أطعتموه سبل الردى. (**وَكُنْتُمْ أَمْوَاتًا**) في أصلاب آبائكم وأرحام أمهاتكم. (**فَأَحْيَاكُمْ**) أخرجكم أحياء (**ثُمَّ يُمِيتُكُمْ**) في هذه الدنيا ويقبركم. (**ثُمَّ يُحْيِيكُمْ**) في القبور، وينعم فيها المؤمنون بنبوة محمد صلى الله عليه وآله..، ويعذب فيها الكافرون... (**ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ**) في الآخرة بأن تموتوا في القبور بعد، ثم تحيوا للبعث يوم القيامة، ترجعون إلى ما وعدكم من الثواب على الطاعات إن كنتم فاعليها، ومن العقاب على المعاصي إن كنتم مقارفيها»[٣].

والمتأمل في الرواية الآنفة الذكر يلحظ مجيء لفظتي (**أمواتاً، ويميتكم**) المكررتين، ولفظتي (**أحياكم، ويحييكم**) المتكررتين أيضاً، وقد وقع الربط بين هذه الألفاظ المتكررة، عن طريق ما طرحه الإمام عليه السلام من معاني مختلفة لتلك الكلمات التي تكرر ذكرها في الآية الكريمة نفسها.

وتجدر الإشارة هنا إلى أن التكرار في القرآن الكريم يرتبط بالصياغة وتنوعها وهي بالضرورة ستحمل –الصياغة–

---

(١) ينظر: نجم، إقبال وافي، البعد الترابطي في القرآن الكريم– دراسة تفسيرية، ص٤٤؛ وينظر: الفقي، صبحي، علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق، ج٢، ص٢١.

(٢) الآية الكريمة كاملة هي قوله تعالى: ﴿**كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللهِ وَكُنْتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ**﴾، سورة البقرة، الآية ٢٨.

(٣) تفسير الإمام العسكري، ص٢١٠.

مجلة آل طالقان المعاصرة
العدد التاسع
السنة الخامسة
١٤٤٥هـ/٢٠٢٤م

المعاني المتعددة تبعاً لذلك التنوع[١].

ولكن ما يلفت الانتباه هنا أن الآية الكريمة استعملت(**أموات**) بصيغة الاسم، ومرة أخرى (**يميتكم**) بصيغة الفعل المضارع وماضيه (أمَات ومصدره إماتة) ومنه «أَماتَ الرَّجُلُ: إِذا ماتَ له ابنٌ أَو بَنُون...و أَماتَكَ اللهُ»[٢]، فهو ميْت، أوميّت ويجمع على (أموات، وموتى) كما ذهب إليه علماء اللغة[٣]، أي أن (يميتكم) تحتمل (الأموات، والموتى) ولو كان القرآن يريد استعمال أموات مرة أخرى لاستعملها، ولما كان من حاجة لاستعمال الفعل المضارع.

ثم إنه يوجد أمر آخر، وهو إن بين الموت الأول والإحياء استعمل القرآن حرف العطف (الفاء) الذي يدل على الترتيب والتعقيب من دون فاصل زمني[٤]، أما بين الموت الثاني والإحياء الثاني استعمل القرآن حرف العطف (**ثم**) الدال على الترتيب مع التراخي في الزمن، وهذا يستدعي أن نطرح سؤالاً مفاده ما السبب في هذا الاستعمال القرآني؟!

وللإجابة عن ذلك نلحظ أولاً أن الإمام ذكر أن تفسير الموت الأول بأنكم «(**كنتم أمواتاً**) في أصلاب آبائكم وأرحام أمهاتكم. (**فأحياكم**) أخرجكم أحياء»، وقد ذكر بعض المفسرين أن النطفة ميتة[٥]، ولكن الإمام دقيق في قوله فلم يقل أن النطفة ميتة وإنما قال (في أصلاب) قبل تكون النطفة(وفي أرحام أمهاتكم) قبل تلقيح البيضة، ولذلك جاز أن يوصف الإنسان بالموت(أي قبل الوجود) وهو لم يُخلق بعد.

ولكن فخر الدين الرازي (ت٦٠٦هـ) يطرح إشكالية مفادها أن الوصف للميت يشترط أن يكون «الميت ما يحل به الموت، ولا بدّ وأن يكون بصفة

---

(١) وتجدر الإشارة هنا أن كل تكرار في القرآن يحمل معنى غير المعنى الذي حمله الأول، وقد ذكر الطوسي(ت٤٦٠هـ) أن مجيء التكرار في القرآن «لاختلاف المعنى وإن اتفق اللفظ» ينظر: الشيخ الطوسي، التبيان، ج٢، ص٢٦.

(٢) الزبيدي، تاج العروس، ج٣، ص١٣٧، مادة (موت).

(٣) الزبيدي، تاج العروس، ج٣، ص١٣٧، مادة (موت).

(٤) ينظر: الجنابي، سيروان، التقييد والإطلاق في النص القرآني، ص١٨٤.

(٥) ينظر: الشيخ الطوسي، التبيان، ج٢، ص١٢١؛ وينظر: الرازي، تفسير الرازي، ج٢، ص١٥١؛ وينظر: الطريحي، فخر الدين، تفسير غريب القرآن، ص ١٣٨.

من يجوز أن يكون حياً في العادة..»[1].

ولتقريب المعنى أكثر فإن الرازي يذهب إلى أن من يُطلق عليه صفة الموت لا بد أن يكون مسبوقاً بالحياة حتى تشمله هذه الصفة، ومن المعلوم أن خلق النطفة هي بداية الحياة للإنسان، ولا حياة قبلها فكيف يصح إطلاق هذه التسمية عليها؟!

ولكي نجيب عن ذلك فإنا نستعين بما ذكره العلماء من العامة والخاصة في هذا الشأن، إذ ذهبوا إلى أنه يصح إطلاق صفة الموت على (العدم) فضلاً عن (الموت الطارئ)، يقول ابن كثير (ت٧٧٢هـ): إن معنى قوله تعالى: **(أمواتاً فأحياكم)** «أَيْ: قَدْ كُنْتُمْ عَدَمًا فَأَخْرَجَكُمْ إِلَى الْوُجُودِ، كَمَا.... ﴿**هَلْ أَتَى عَلَى الإِنْسَانِ حِينٌ مِنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئًا مَذْكُورًا**﴾ [الْإِنْسَانِ: ١] وَالْآيَاتُ فِي هَذَا كَثِيرَةٌ. »[2].

وكذا ذكر العلامة المجلسي أن «المراد بالموت الموت الطاري على الحياة، أو العدم الأصلي فإنه قد يسمى موتاً أيضاً، كما قال تعالى: « **كُنْتُمْ أَمْواتاً فَأَحْياكُمْ** »»[3].

وبناء عليه، فإن كلمة **(أمواتاً)** الأولى الواردة في الآية الكريمة موضع البحث تعني من سبق بـ(العدم)[4] وليس توقف الحياة، أي كنتم غير مخلوقين أصلاً، وهذا هو الفرق بينها وبين الفعل (يميتكم) الدال على الموت الطارئ الذي يطرأ على الحياة نتيجة لتوقف أعضاء الإنسان بموته.

ثم إن هناك أمراً آخر، وهو الفرق بين دلالة (أموات) في القرآن الكريم، ودلالة (الموتى) فيه، ذلك إن الموتى هم

(١) ينظر: الرازي، تفسير الرازي، ج٢، ص١٥١.

(٢) ابن كثير، تفسير ابن كثير، ج١، ص٧٠.

(٣) المجلسي، مرآة العقول في شرح أخبار آل الرسول، ج ٧، ص٧٧.

(٤) وقد أشار الإمام أبو جعفر عليه السلام في كتاب الكافي في الرواية الشريفة، إلى أن الإنسان لم (يكن مقدراً ولا مكوناً) أي عدماً في إشارة منه إلى قوله تعالى: «أَوَلَا يَذْكُرُ الْإِنسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِن قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْئًا » (مريم: ٦٧)؛ لأن العلماء قد ذكروا في بيان معنى العدم بـ «أن العدم ليس بشيء». ينظر: الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي، باب البداء، الحديث الخامس، ج ١، ص١٤٧؛ وينظر: السيد الخميني، الرسائل، ج١، ص١٤٠. ونص الرواية كما وردت في الكافي: «أَحْمَدُ بْنُ مِهْرَانَ عَنْ عَبْدِ الْعَظِيمِ بْنِ عَبْدِ اللهِ الْحَسَنِيِّ عَنْ عَلِيِّ بْنِ أَسْبَاطٍ عَنْ خَلَفِ بْنِ حَمَّادٍ عَنِ ابْنِ مُسْكَانَ عَنْ مَالِكٍ الْجُهَنِيِّ قَالَ سَأَلْتُ أَبَا عَبْدِ اللهِ عليه السلام عَنْ قَوْلِ اللهِ تَعَالَى: ﴿**أَولَمْ يَرَ الإِنْسانُ أَنَّا خَلَقْناه مِنْ قَبْلُ ولَمْ يَكُ شَيْئاً**﴾ قَالَ: فَقَالَ: لَا مُقَدَّراً ولَا مُكَوَّناً. قَالَ: وسَأَلْتُه عَنْ قَوْلِه: ﴿**هَلْ أَتى عَلَى الإِنْسانِ حِينٌ مِنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئاً مَذْكُوراً**﴾ فَقَالَ: كَانَ مُقَدَّراً غَيْرَ مَذْكُورٍ».

من يبعثهم الله تعالى، وليس الأموات فهناك فرق بين الاستعمالين، قال تعالى: ﴿**إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ وَالْمَوْتَى يَبْعَثُهُمُ اللهُ ثُمَّ إِلَيْهِ يُرْجَعُونَ**﴾[1]. في حين نهى الله تعالى عن وصف الذين يقتلون في سبيل الله أمواتاً، إذ إنهم ليسوا معدومين؛ بل هم موتى وسيُبعثون من جديد قال تعالى: «**وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ**»[2] (آل عمران: ١٦٩).

ومنه نفهم أن التكرار هنا لم يأت لغرض التوكيد فحسب؛ بل يتضح من الشرح الوارد في الرواية أن الإحياء الأول كان من العدم أي من النطفة التي وصفها كثير من المفسرين بأنها ميتة، قال الطريحي (ت١٠٨٥هـ): «قوله تعالى: ﴿**وَكُنْتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ**﴾، فالموتة الأولى: كونهم نطفاً في أصلاب آبائهم لأن النطفة ميتة، والحياة الأولى إحياء الله إياهم من النطفة، والموتة الثانية إماتة الله إياهم بعد الحياة، والحياة الثانية إحياء الله إياهم للبعث، فهاتان موتتان وحياتان»[3].

ولكن ما يلحظ هنا أن كثيراً من المفسرين يذكرون ثلاثة آراء للموت

---

(١) سورة الأنعام، الاية ٣٦. والآيات الدالة على ذلك كثيرة في القرآن الكريم، ومن أمثلتها: «**وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَا إِلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ الْمَوْتَى وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قُبُلاً مَّا كَانُواْ لِيُؤْمِنُواْ إِلاَّ أَن يَشَاءَ اللهُ وَلَـكِنَّ أَكْثَرَهُمْ يَجْهَلُونَ**» (سورة الانعام، الاية ١١١)، وقوله تعالى: «إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ الْمَوْتَى وَلَا تُسْمِعُ الصُّمَّ الدُّعَاء إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ» (سورة النمل، الاية ٨٠)، وقوله تعالى: «إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتَى وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَارَهُمْ وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ» (سورة يس، الآية١٢)... وغير ذلك.

(٢) سورة آل عمران: ١٦٩. يرى صدر الدين محمد الشيرازي(ت ١٠٥٠هـ) أن المقصود بالحياة في الآية الكريمة أعلاه هي الحياة المعنوية يقول في هذا الشأن: « أما الآيات الدالة على بقاء النفوس بعد خراب هذا البدن الطبيعي فكثيرة منها قوله تعالى: ﴿**وَلا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللهِ أَمْواتاً بَلْ أَحْياءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ فَرِحِينَ بِما آتاهُمُ اللهُ مِنْ فَضْلِه**﴾ وكأن المراد من هذه الحياة هي الحياة العقلية المختصة بالكاملين في العلم فإنهم الأحياء حياة عقلية الساكنون في حظيرة القدس عند ربهم المرزوقون بالأرزاق المعنوية والأنوار العقلية ويكون فرحهم أي ابتهاجهم ولذتهم العقلية بالحكمة لا بغيرها من اللذات الحسية والخيالية»، ينظر: الشيرازي، صدر الدين محمد، أسرار الآيات، ص ١٤٦.

(٣) الطريحي، فخر الدين، تفسير غريب القرآن، ص١٣٨؛ ينظر: الشيخ الطوسي، التبيان، ج١، ص١٢١؛ وينظر: الرازي، تفسير الرازي، ج٢، ص١٥١.

العدد: التاسع
السنة: الخامسة
١٤٤٥هـ/٢٠٢٤م

مجلة براثا للدراسات
العدد التاسع
السنة الخامسة
١٤٤٥هـ/٢٠٢٤م

والحياة المقصودة هنا [١]:

١- إن الموتة الأولى كونهم نطفاً في الأصلاب، لأن النطفة ميتة، والحياة الأولى إحياء الله إياهم من النطفة، والموتة الثانية أماته الله إياهم بعد الحياة. والحياة الثانية إحياؤهم الله للبعث.

٢-ويقال: الموتة الأولى التي تقع بهم في الدنيا بعد الحياة، والحياة الأولى إحياء الله إياهم في القبر للمسائلة، والموتة الثانية أماتة الله إياهم بعد المساءلة، والحياة الثانية إحياء الله إياهم للبعث.

١- وقيل: الموتة الأولى التي كانت بعد إحياء الله إياهم في الذر إذ سألهم «**أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى**» (الأعراف: ١٧٢)، ثم أماتهم بعد ذلك، ثم أحياهم بإخراجهم إلى الدنيا، ثم أماتهم، ثم يبعثهم الله إذا شاء.

ولكن لو تأملنا في الرواية الشريفة لوجدنا أن ما عرضه الإمام العسكري عليه السلام من تفسير للآية الكريمة وللربط الوارد فيها، نرى أن تفسيره كان الأدق، والأصح في هذا الجانب؛ لأن الإمام لم يذكر أن النطفة ميتة، أما المفسرون فذكروا - كما سبق - بيانه أن النطفة ميتة، في حين أن العلم الحديث يثبت أن «النطفة سواء أكانت مذكرة «حيوان منوي» أو مؤنثة «بويضة»، فإنها خلية حية»[٢]. ثم ذكر الإمام عبارة (في أصلاب آبائكم وأرحام أمهاتكم) فالنطفة إذاً - وبحسب الإمام - تشمل الذكر والأنثى وهي حية، وهذا ما قال به العلم الحديث بأن النطفة تطلق على «الحيوان المنوي الذكري sperm والبويضة الأنثوية Ovum باعتبارهما المادة التي يتم منها تكوين الجنين»[٣].

وكذلك فإن ما قاله الإمام هو الأصح كما بينا سابقاً بأن لفظة (أموات) لا تنطبق على من سُبق بالحياة؛ بل تنطبق على مَن سُبق بالعدم[٤]، فضلًا عن أن

(١) الشيخ الطوسي، التبيان، ج١، ص١٢١؛ وينظر: الرازي، تفسير الرازي، ج٢، ص١٥١؛ وينظر: الطريحي، فخر الدين، تفسير غريب القرآن، ص١٣٨.

(٢) صادق، آمال، كتاب نمو الإنسان من مرحلة الجنين إلى مرحلة المسنين، ص١٤١.

(٣) المصدر نفسه.

(٤) قد يقال أن القرآن الكريم استعمل لفظة (أموات) لتدل على الموت بعد الحياة، ولكن الباحثة ترى وبعد استقصاء آراء العلماء أن هذه الكلمة غالباً ما تستعمل للدلالة على الموت المعنوي وليس الموت المادي، فقد جاءت كلمة (أموات) بهذه الصيغة ست مرات ففضلاً عن الآية التي نحن بصدد بيان معناها، فقد ذكرت

العدد التاسع
السنة الخامسة
١٤٤٥هـ/٢٠٢٤م

كلمة أموات قد ذُكرت ست مرات في القرآن الكريم وفي هذه المرات كانت تشير إلى الموت المعنوي، وليس الموت المادي المختص بتوقف الحياة وفناء الأجساد، ولو نظرنا إلى الرأي الثاني والثالث، فإنه يصور الإنسان وقد دبت فيه الحياة أو مُنح الحياة ثم مات بعد ذلك، وهذه الفئة ينطبق عليها تسمية (موتى) وليس (أموات)، فيكون تفسير الإمام العسكري عليه السلام هو الأصح بناء على الاستعمال القرآني للفظة موضع البحث.

اللفظة في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللهِ أَمْوَاتٌ بَلْ أَحْيَاءٌ وَلَكِنْ لَا تَشْعُرُونَ﴾ (سورة البقرة، الاية ١٥٤)، **﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾** (سورة آل عمرن، الاية ١٦٩)، **«أَمْوَاتٌ غَيْرُ أَحْيَاءٍ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ»** (سورة النحل، الاية ٢١)، **﴿وَمَا يَسْتَوِي الْأَحْيَاءُ وَلَا الْأَمْوَاتُ إِنَّ اللهَ يُسْمِعُ مَنْ يَشَاءُ وَمَا أَنْتَ بِمُسْمِعٍ مَنْ فِي الْقُبُورِ﴾** (سورة فاطر، الاية ٢٢)، **«أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ كِفَاتًا * أَحْيَاءً وَأَمْوَاتًا»** (سورة المرسلات، ٢٥-٢٦). وفي كل الآيات الكريمة كانت الإشارة فيها إلى موت الجمادات (الأصنام) مع أنهم ليسوا أحياء أصلاً، أو الموت بسبب الكفر (الأموات والاحياء) الكفار والمؤمنين، أو الموت بمعنى العدم(**أَمْوَاتٌ بَلْ أَحْيَاءٌ**)، وفي كل هذه الآيات الكريمة نلحظ إشارة القرآن إلى الموت المعنوي وليس الموت المادي الذي يكون بتوقف الحياة وفناء الجسد.

ولعل هناك دليلاً آخر ذكرناه في بداية الكلام، وهو أن القرآن استعمل الفاء الرابطة بين لفظة (أموات) الأولى وبين (أحياهم) فقال: (**أموتاً فأحياكم**)، لتدل على أنه لا يوجد فترة زمنية كبيرة بين النطفة وتلقيحها للبيضة إذ يذكر العلماء ان عملية التلقيح قد تكون في مدة (١٥) دقيقة، أي وقت تحرك النطفة والتقائها بالبيضة وتلقحها؛ فإن كل ذلك يحدث في وقت واحد من دون وجود فترة زمنية كبيرة لهذا الإحياء.

في حين أن الفارق بين الموتة الثانية والحياة الثانية تكون بعد فترة زمنية بدلالة وجود «حرف العطف ﴿ثُمَّ﴾ بين العبارتين الذي يدل من جهة المنظور النحوي على بُعد الزمن في الحروف و تحقق التراخي في الوقوع؛ و لما كان الفاصل بين النزوع ﴿الوفاة﴾ والنشور ﴿البعث﴾ عند الآخرة شاسعاً كان من المناسب أن تأتي ﴿ثُمَّ﴾ فاصلة بين العبارتين»[1].

وهذا يشير إلى أن الربط بين الإماتة الأولى والثانية، ثم بيان الفرق بينهما قد أعاننا على ترجيح التفسير الصحيح للآية الكريمة، إذ إن الإمام عليه السلام لم يقدم تفسيرات

(١) الجنابي، سيروان، التقييد والإطلاق في النص القرآني، ص١٨٤.

متعددة للآية الكريمة؛ بل أكتفى بتفسير واحد ربط فيه بين الإماتتين والإحياءين، وهذا الربط قد أوضح – بالاستعانة بكلام المُفسرين– الفارق الدقيق بين أن يقول القرآن (أموات) وبين أن يقول(يميت) كما سبق بيانه.

ثانياً: الربط بين الألفاظ المتكررة في سور مختلفة.

كثيراً ما ترد في القرآن الكريم ألفاظ يتكرر ذكرها، سواء كان ذلك التكرار باستعمال البنية اللفظية نفسها، أو بتغيير بسيط في تلك البنية، وفي جميع الأحوال فإن تلك اللفظة تعود إلى جذر واحد أو ما يُسمى بالمادة الواحدة في اللغة، ولكن الانتماء إلى المادة نفسها لا يعني التطابق في المعاني، وإن كانت اللفظة الواردة في الآيات المتعددة هي نفسها.

ولتقريب المعنى أكثر للقارئ، فإن كلمة (راعنا)– بهذا الوزن– وردت مرتين في القرآن الكريم، ولكنها في المرتين كانت تحمل معنى يغاير المعنى الأول، وقد لحظت الباحثة أن الإمام العسكري عليه السلام، قام بالربط بينها وذكر معناها في المرتين، مع ذكر السبب لذلك النهي لاستعمال اللفظة في الكلام عن طريق ذلك الربط، ومن ذلك ما روي عن الإمام العسكري عليه السلام أنه قال: «...وكانت هذه اللفظة: **(راعنا)** من ألفاظ المسلمين الذين يخاطبون بها رسول الله صلى الله عليه وآله يقولون: راعنا، أي إرع أحوالنا، واسمع منا كما نسمع منك. وكان في لغة اليهود معناها: اسمع، لا سمعت. فلما سمع اليهود، المسلمين يخاطبون بها رسول الله صلى الله عليه وآله يقولون: راعنا ويخاطبون بها، قالوا: إنا كنا نشتم محمداً إلى الآن سراً، فتعالوا الآن نشتمه جهرا. وكانوا يخاطبون رسول الله صلى الله عليه وآله ويقولون: راعنا، ويريدون شتمه.

ففطن لهم سعد بن معاذ الأنصاري، فقال: يا أعداء الله عليكم لعنة الله، أراكم تريدون سبّ رسول الله صلى الله عليه وآله وتوهمونا أنكم تجرون في مخاطبته مجرانا، والله لا سمعتها من أحد منكم إلا ضربت عنقه، ... فأنزل الله: يا محمد **(مِنَ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَاسْمَعْ غَيْرَ مُسْمَعٍ وَرَاعِنَا لَيًّا بِأَلْسِنَتِهِمْ وَطَعْنًا فِي الدِّينِ– إلى قوله – فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا)**[1] وأنزل **(يَاأَيُّهَا**

(١) سورة النساء، الاية ٤٦. والآية كاملة: ﴿**مِنَ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَاسْمَعْ غَيْرَ مُسْمَعٍ وَرَاعِنَا لَيًّا بِأَلْسِنَتِهِمْ وَطَعْنًا فِي الدِّينِ وَلَوْ أَنَّهُمْ قَالُوا سَمِعْنَا**

الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقُولُوا رَاعِنَا)[١]، يعني فإنها لفظة يتوصل بها أعداؤكم من اليهود إلى شتم رسول الله ﷺ وشتمكم. وقولوا: **(انظرنا)**، أي قولوا بهذه اللفظة، لا بلفظة راعنا، فإنه ليس فيها ما في قولكم: **راعنا**، ولا يمكنهم أن يتوصلوا بها إلى الشتم كما يمكنهم بقولهم راعنا (واسمعوا) إذا قال لكم رسول الله ﷺ قولا وأطيعوا. (وللكافرين) يعنى اليهود الشاتمين لرسول الله ﷺ (عذاب أليم) وجيع في الدنيا إن عادوا بشتمهم، وفي الآخرة بالخلود في النار.»[٢].

والمتتبع للرواية الشريفة يلحظ أن الإمام العسكري عليه السلام ربط بين قوله تعالى: « **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقُولُوا رَاعِنَا وَقُولُوا انظُرْنَا وَاسْمَعُوا وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ** »، وهذه الآية موقعها في سورة البقرة ورقمها (١٠٤)، وبين قوله تعالى: «**مِّنَ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَاسْمَعْ غَيْرَ مُسْمَعٍ وَرَاعِنَا لَيًّا بِأَلْسِنَتِهِمْ وَطَعْنًا فِي الدِّينِ وَلَوْ أَنَّهُمْ قَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَاسْمَعْ وَانظُرْنَا لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَقْوَمَ وَلَٰكِن لَّعَنَهُمُ اللهُ بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا**»، وهذه الآية وردت في سورة النساء ورقمها (٤٦).

وقد ذكر بعض المفسرين الفروق الدقيقة بين كلمة **(راعنا)** بالعبرانية، وكلمة **(راعنا)**، عند العرب بأن اليهود «يقولون راع على وزن قال بمعنى الفساد»[٣]، ويقول محمد جواد البلاغي النجفي: «وقد تتبعت العهد القديم العبراني فوجدت أن كلمة «راع» بفتحة مشالة إلى الألف وتسمى عندهم «قامص» تكون بمعنى الشر أو القبيح. ومن ذلك ما في الفصل الثاني والثالث من السفر الأول من توراتهم وبمعنى الشرير واحد الأشرار. ومن ذلك ما في الفصل الأول من السفر الخامس. وفي الرابع والستين والثامن والسبعين من مزاميرهم. وفي ترجمة الأناجيل بالعبرانية و« نا » ضمير المتكلم، وفي العبرانية تبدل ألفها واواً أو تُمال إلى الواو، فتكون راعنا في العبرانية بمعنى شريرنا، ونحو ذلك.»[٤].

وَأَطَعْنَا وَاسْمَعْ وَانظُرْنَا لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَقْوَمَ وَلَكِن لَّعَنَهُمُ اللهُ بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا﴾.

(١) سورة البقرة، الاية ١٠٤. والآية كاملة: **﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقُولُوا رَاعِنَا وَقُولُوا انظُرْنَا وَاسْمَعُوا وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾**.

(٢) تفسير الإمام العسكري، ص٤٧٩.

(٣) البلاغي، محمد جواد، آلاء الرحمن في تفسير القرآن، ج١، ص١١٣-١١٤.

(٤) المصدر نفسه، ج١، ص١١٤.

أما كلمة راعنا «في العربية فتفسيرها في التبيان استمع منا ونسمع منك وفي القاموس استمع لمقالي.. والمراعاة الملاحظة، ونهى المؤمنين عن قولهم لرسول الله صلى الله عليه وآله راعنا لئلا يتخذها اليهود في خطابهم لرسول الله وسيلة لسبه والطعن في الدين (واسْمَعُوا) ما يقول الرسول (ولِلْكافِرِينَ) الذين يسبون رسول الله أو الذين لا يسمعون قوله[سورة البقرة (٢): الآيات ١٠٥ إلى ١٠٦]»[١]، وإلى الأمر نفسه ذهب ابن شهر آشوب أن راعنا عند العرب دالة على السماع، فهي اسم «فاعل بمعنى أفعل راعِنا لَيًّا يعني أرعنا سمعك»[٢].

إن ما يذكره الشيخ البلاغي يبين بدقة الفرق بين كلمة (راعنا بالعبرانية) التي تدل على الفساد والشر والسب... وغير ذلك من الأمور القبيحة، وبين كلمة (راعنا في العربية) التي تدل على طلب السماع والمراعاة للأحوال من رسول الله صلى الله عليه وآله، وليس فيها أي سب أو شتم، وعلى الرغم من تكرر الكلمتين في الآيتين الكريمتين الآنفتي الذكر، إلا أن لكل واحدة منها دلالة تختلف عن الأخرى، ولكن مع أن معنى (راعنا) عند العرب ليس فيها أي دلالة على القبح، إلا أن القرآن نهى عن استعمالها، ولكنه لم يبين سبب النهي في الآية(١٠٤) من سورة البقرة، ثم جاء بيان السبب في آية أخرى من سورة ثانية وهي سورة النساء، وأن القرآن في آية البقرة اكتفى بالنهي وأمر المؤمنين بالاستماع إلى رسول الله ونواهيه، وأبدلهم بكلمة أخرى، فقال: ﴿**قُولُوا انظُرْنَا وَاسْمَعُوا**﴾ من دون توضيح السبب، الذي جاء بيانه متأخراً في آية (٤٦) من سورة النساء من الذكر الحكيم.

وجاء في التفسير الحديث ما يؤيد ذلك بأن معنى قوله عزّ وجلّ: ﴿**رَاعِنَا لَيًّا بِأَلْسِنَتِهِمْ**﴾: كانوا يلوون ألسنتهم بكلمة راعنا لتكون بمعنى الرعونة استهزاء بالنبي. وفي سورة البقرة آية من هذا الباب نهي المسلمون فيها عن ترديد هذه الكلمة تقليداً لليهود وهي الآية [١٠٤].»[٣]. وهي الآية التي رُبط بها الكلام آنفاً.

وتأسيساً على ما تقدم يبين لنا الربط الواقع بين الآيات الكريمة، أن

(١) البلاغي، محمد جواد، آلاء الرحمن في تفسير القرآن، ج١، ص١١٤.

(٢) ابن شهر آشوب، متشابه القرآن ومختلفه، ج٢، ص٢٧٥.

(٣) دروزة، محمد عزة، التفسير الحديث، ج٨، ص١٣٧.

العدد: التاسع
السنة الخامسة
١٤٤٥هـ/٢٠٢٤م

الكلمتين متشابهتان لفظاً ومختلفتان معنى في الاستعمال، وإن القرآن الكريم في كلتا الحالتين قد أمر بالاستغناء عنها، وعدم استعمالها، لأن فيها ما يوحي بالاعتداء على حضرة الرسول الأكرم، والانتقاص من دينه.

المطلب الثاني: الربط بين الألفاظ المتقاربة.

إذا كان الإمام في المطلب السابق قد ربط الألفاظ المشابهة، والتي تكرر ذكرها في الكتاب المجيد؛ ووضع لكل لفظ معنى مخالفاً للمعنى الآخر على الرغم من تشابه الألفاظ؛ فإنه وفي الرواية التي سنتعرض لها في هذا المطلب يقوم بالربط بين لفظتين متقاربتين في المعنى؛ أي أنهما ضمن نطاق دلالي واحد، ومن الأمثلة عليها لفظتا **(غلف، وأكنة)** المتقاربتان في المعنى، إذ إن هاتين الكلمتين لم تردا في آية واحدة، ولكن الإمام العسكري عليه السلام قام بربطهما بالاستعانة بالترابط اللفظي؛ لأن الكلمتين تنتميان إلى حقل دلالي واحد؛ إذ تأتيان بمعنى الغطاء والغشاء أو ما هو في معناهما، وقد وردت لفظة (غلف) في قوله تعالى على لسان اليهود: «**وَقَالُوا قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَل لَّعَنَهُمُ اللهُ بِكُفْرِهِمْ فَقَلِيلًا مَّا يُؤْمِنُونَ**»[١]، فقالوا (غلف للخير، والعلم)، وكذا قيل بأن المقصود من **(قلوبنا غلف)** أنها بمعنى(**أكنة**) أي قلوبنا مغلفة عن سماع ما تقول[٢]، وهذا نظير قوله تعالى: «**وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ مِمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ وَفِي آذَانِنَا وَقْرٌ وَمِنْ بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ**» [٣]، وقد جاء هذا الربط في الحديث الآتي:

«**قال** الإمام- العسكري- عليه السلام: قال الله عزّ وجلّ: **(وقالوا)** يعنى هؤلاء اليهود الذين أراهم رسول الله صلى الله عليه وآله المعجزات... **(قُلُوبُنَا غُلْفٌ)**[٤] أوعية للخير، والعلوم قد أحاطت بها واشتملت عليها، ثم هي مع ذلك لا تعرف لك يا محمد فضلاً مذكورا في شئ من كتب الله، ولا على لسان أحد من أنبياء الله. فقال الله تعالى رداً عليهم: **(بَل)** ليس كما يقولون أوعية العلوم ولكن قد **(لَعَنَهُمُ اللهُ)** أبعدهم من الخير **(فَقَلِيلًا مَّا يُؤْمِنُونَ)** قليل إيمانهم، يؤمنون ببعض ما أنزل الله تعالى ويكفرون ببعض، فإذا كذبوا محمداً صلى الله عليه وآله في سائر ما يقول، فقد

(١) سورة البقرة، الاية ٨٨.

(٢) ينظر: الطريحي، فخر الدين، مجمع البحرين، ج٢، ص٢٢٢.

(٣) سورة فصلت، الاية ٥.

(٤) سورة البقرة، الاية ٨٨.

صار ما كذبوا به أكثر، وما صدقوا به أقل. وإذا قرئ (غُلْفٌ) فإنهم قالوا: قلوبنا غلُف في غطاء، فلا نفهم كلامك وحديثك. نحو ما قال الله تعالى: ﴿**وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ مِمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ وَفِي آذَانِنَا وَقْرٌ وَمِنْ بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ**﴾[١]، وكلا القراءتين حق، وقد قالوا بهذا وبهذا جميعاً»[٢].

نلحظ هنا أن الإمام العسكري عليه السلام قد أعطى قراءتين لكلمة (غلف)، فإذا قُرأت (غلْف) بسكون اللام فتكون هنا «جمع أغلف، وهو الذي عليه غشاوة معناه عليها غشاوة، فلا تسمع ولا تفق»[٣]، ثم ذكر الإمام في الحديث أن هذا المعنى هو نظير كلمة (أكنة) الواردة في قوله عزّ وجلّ: «**وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ مِمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ وَفِي آذَانِنَا وَقْرٌ وَمِنْ بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ**»، فقام بالربط بين الكلمتين؛ لأنهما قد أعطيا معنىً متقارباً، وهو الغشاء والغطاء وعدم الفهم.

كما أن الإمام لم يكتفِ بذكر هذا المعنى وربطه بالآية الكريمة التي فيها كلمة (أكنة)، بل قام بذكر معنى آخر، وهو أن كلمة (غلُف) بضمّ اللام ستعطي معنى مغايراً مفاده أن «(غلف) بضمّ اللام - وهي قراءة الأعرج - وهي جمع غلاف، أي قلوبنا أوعية لكل علم؛ فلا تحتاج إلى علمك، قاله ابن عباس وعطاء، وقال الكلبي معناه أوعية لكل علم، فهي لا تسمع حديثاً إلا وعته؛ إلا حديثك لا تعقله ولا تعيه ولو كان فيه خير لوعته وفهمته، قال الله عزّ وجلّ ﴿**بل لَّعَنَهُمُ اللهُ**﴾ طردهم الله وأبعدهم عن كل خير ﴿**بِكُفْرِهِمْ فَقَلِيلًا مَّا يُؤْمِنُونَ**﴾»[٤].

وبالرجوع إلى كتب اللغة نجد أن المعاني المذكورة لـ(غلف)، تؤيد ما ذكره الإمام عليه السلام؛ إذ ذكر ابن منظور(ت٧١١هـ) أن قوله تعالى: ﴿**وقالوا قلوبنا غُلْفٌ**﴾، قيل: معناه صُمٌّ، ومن قرأَ غُلُفٌ أَراد جمع غِلاف، أَي أَن قلوبنا أَوْعِية للعِلم كما أَن الغلاف وِعاء لما يُوعَى فيه، وإذا سكنت اللام كان جمع أَغلف، وهو الذي لا يعي شيئاً.»[٥].

---

(١) سورة فصلت، الاية ٥.

(٢) تفسير الإمام العسكري، ص٣٩٠.

(٣) البغوي، معالم التنزيل في تفسير القرآن العظيم، ج١، ص٩٣.

(٤) البغوي، معالم التنزيل في تفسير القرآن العظيم، ج١، ص٩٣.

(٥) ابن منظور، لسان العرب، ج ٩، ص٢٧١. فصل الغين المعجمة، مادة (غلف). وقد ذكر ابن منظور الفرق بين أغلف وغلاف «وفي صفته،

وبناء عليه نلحظ أن الإمام لم يكتف بإيراد تفسير واحد للآية الكريمة؛ بل ذكر لها تفسيراً آخر عن طريق ربطها بآية أخرى جاءت فيها كلمة مقاربة للكلمة التي آراد بيانها، أي التقارب بين (غلف، وأكنة)، وقد يُقال أن هذا من باب تفسير القرآن بالقرآن؟! نقول أن الإمام فسر كلمة (غلف) أولاً بأن اليهود زعموا بأن قلوبهم أغلفة للخير والعلم، فأوضح الإبهام وأزاله قبل أن يربط بين الآيات الكريمة ضمن نطاق واحد.

هذا وقد ورد في الروايات الشريفة ما يؤيد ذلك التفسير، فقد ذكر المحدثون أن رسول الله حين وبخ اليهود على قسوة قلوبهم فـ«غلظ على اليهود ما وبخهم به رسول الله ﷺ. فقال جماعة من رؤسائهم وذوي الألسن والبيان منهم: يا محمد إنك تهجونا، و تدعي على قلوبنا ما الله يعلم منها خلافه، إن فيها خيراً كثيراً: نصوم ونتصدق و نواسي الفقراء. فقال رسول الله ﷺ: إنما الخير ما أريد به وجه الله تعالى، وعمل على ما أمر الله تعالى به، وأما ما أريد به الرياء والسمعة ومعاندة رسول الله ﷺ وإظهار العناد له والتمالك والشرف عليه، فليس بخير، بل هو الشر الخالص، وبال على صاحبه يعذبه الله به أشد العذاب. »[1].

ولكن الإمام زيادة في التوضيح والبيان، قام بذكر آية أخرى ليجعلها دليلاً على التفسير الآخر الذي ذكره، ثم بيّن أن كلا التفسيرين هو حق بدلالة قوله عليه السلام (وكلا القراءتين حق، وقد قالوا بهذا وبهذا جميعاً.) بناء على ما وجده من التقارب بين كلمتي (أكنة، وغلف).

فضلاً عما تقدم نلحظ أن التفسير الذي يذكره الإمام بالربط بين الآيات قد ذكره المفسرون نقلاً عن ابن عباس وغيره -كما ذكرناه آنفاً- في كتبهم، وذلك يعد مؤيداً لصحة ما ورد في الحديث الشريف.

صلى الله عليه وسلم: يَفْتَح قُلوباً غُلْفاً أَي مُغَشَّاة مغطاة، واحدها أَغلف. وفي حديث حذيفة والخُدريّ: القلوب أَربعة فقلب أَغلف أَي عليه غِشاء عن سَماع الحق وقبوله، وهو قلب الكافر، قال: ولا يكون غُلُف جمع أَغلف لأَنَّ فُعُلًا، بالضم، لا يكون جمع أَفعل عند سيبويه.... قال الكسائي: ما كان جمع فِعال وفَعُول وفَعِيل، فهو على فُعُلٍ مثقل. وقال خالد بن جنْبة: الأَغلف فيما نرى الذي عليه لِبْسة لم يدَّرِعْ منها أَي لم يُخرِج منها.»، ابن منظور، لسان العرب، ج ٩، ص٢٧١، فصل الغين المعجمة، مادة (غلف).

(١) المجلسي، بحار الأنوار، باب احتجاجه ﷺ على اليهود في مسائل شتى، ج ٩، ص٣١٤. الحديث الحادي عشر.

المبحث الثاني

الترابط المعنوي في روايات الإمام العسكري عليه السلام.

توطئة

بعد أن قدمنا القول في المبحث السابق في الروابط اللفظية، سنحاول في هذا المبحث إيجاد الروابط المعنوية في روايات الإمام العسكري عليه السلام، والتي يُقصد بها «تلك الروابط التي تكون بين أجزاء النص لوجود علاقات غير لفظية، فيُستغنى بها عن الربط بالأداة، فالجمل إما أن تتصل ببعضها برباط ظاهر لتعلق الكلام بعضه ببعض وعدم تمام الجملة الأولى إلا بما بعدها، وهذا أمر واضح الربط فيه وهو مزج لفظي، وإما أن لا يظهر الارتباط، فيبدو النص وكان كل جملة مستقلة عن الأخرى»[١]، وهنا يأتي دور الروابط المعنوية لتربط بينها؛ ذلك أنه « لا بد من دعامة تؤذن باتصال الكلام وهي قرائن معنوية تؤذن بالربط»[٢].

ويمكن تحديد الروابط المعنوية بأنها إما أن تكون من ضمن علاقة التشابه أو التضاد، أو العلة والمعلول، أو علاقة الالتزام، أو البيان والتفسير... أو غير ذلك[٣].

وبناء عليه جرى تقسيم هذا المبحث على مطلبين:

الأول: الربط بين التفسير الظاهري والتفسير الباطني عن طريق علاقة التشابه.

الثاني: الربط بين التفسير المادي والتفسير المعنوي عن طريق علاقة التفسير والبيان.

المطلب الأول: الربط بين التفسير الظاهري والتفسير الباطني عن طريق علاقة التشابه.

ومن الأمثلة عليه «قال الإمام عليه السلام: قال الباقر عليه السلام: فلما قال الله تعالى: ﴿**يَاأَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ**﴾[٤]، وذكر الذباب في قوله: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا**﴾[٥] الآية، ولما قال ﴿**مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْعَنْكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ**

(١) نجم، إقبال وافي، البعد الترابطي في القرآن الكريم – دراسة تفسيرية –، ص٨٩.

(٢) الزركشي، البرهان، ج١، ص٥٦، وينظر: السيوطي، الإتقان، ص٤٧٢.

(٣) ينظر: نجم، إقبال وافي، البعد الترابطي في القرآن الكريم– دراسة تفسيرية –، ص٨٦.

(٤) سورة الحج، الاية ٧٣.

(٥) سورة الحج، الاية ٧٣.

العدد التاسع
السنة الخامسة
١٤٤٥هـ/٢٠٢٤م

لَبَيْتُ الْعَنْكَبُوتِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾[١]، وضرب المثل في هذه السورة بالذي استوقد ناراً، وبالصيب من السماء.قال الكفار..: وما هذا من الأمثال فيُضرب؟! يريدون به الطعن على رسول الله صلى الله عليه.. فقال الله: يا محمد **﴿إِنَّ اللهَ لَا يَسْتَحْيِي﴾**[٢] **لا** يترك حياء **﴿أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا﴾**[٣] للحق ويوضحه به عند عباده المؤمنين **(ما بعوضة)** أي ما هو بعوضة المثل(**فما فوقها)** فوق البعوضة وهو الذباب، يضرب به المثل إذا علم أن فيه صلاح عباده ونفعهم.»[٤].

وقد ربط المفسرون أيضاً بين الآيات الكريمة، فقد ذكر الرازي نقلاً عن «ابن عباس أنه لما نزل: **﴿يَاأَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُوا لَهُ﴾** (سورة الحج، الآية ٧٣) فطعن في أصنامهم، ثم شبه عبادتها ببيت العنكبوت، قالت اليهود: أي قدر للذباب والعنكبوت حتى يضرب الله المثل بهما فنزلت هذه الآية[٥] »[٦].

كما ورد هذا الربط بين الآيات أيضاً عند المُحدِّثين من الإمامية والجمهور، «قال السدي في تفسيره عن أبي مالك وعن أبي صالح عن ابن عباس وعن مرة عن ابن مسعود وعن ناس من الصحابة لما ضرب الله هذين المثلين للمنافقين – يعني قوله تعالى ﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا﴾ وقوله ﴿أَوْ كَصَيِّبٍ مِّنَ السَّمَاءِ﴾ الآيات الثلاث – قال المنافقون: الله أعلى وأجل من

---

(١) سورة العنكبوت، الاية ٤١.

(٢) سورة البقرة، الاية ٢٦.

(٣) سورة البقرة، الاية ٢٦. والآية كاملة: **﴿إِنَّ اللهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَيَقُولُونَ مَاذَا أَرَادَ اللهُ بِهَذَا مَثَلًا يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ﴾**.

(٤) تفسير الإمام العسكري، ص٢٠٥، وينظر: المجلسي، بحار الأنوار، باب ما ورد عن المعصومين في تفسير الآيات، ج٩، ص١٧٧، الحديث الخامس.

(٥) يقصد بالآية هنا قوله تعال: «**إِنَّ اللهَ لَا يَسْتَحْيِي أَن يَضْرِبَ مَثَلاً مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُواْ فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُواْ فَيَقُولُونَ مَاذَآ أَرَادَ اللهُ بِهَذَا مَثَلاً يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلاَّ الْفَاسِقِينَ**»، فجاء الربط بين الذباب والبعوض والعنكبوت عند المفسرين أيضاً، و ينظر: الرازي، تفسير الرازي، ج٢، ص١٣١.

(٦) وينظر: الرازي، تفسير الرازي، ج٢، ص١٣١، وينظر: الشيرازي، ناصر مكارم، تفسير الأمثل، ج١، ص١٣٤، و ينظر: النابلسي، محمد راتب، موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة، ص٢٣٠.

أن يضرب هذه الأمثال فأنزل الله هذه الآية إلى قوله تعالى ﴿هم الخاسرون﴾ وقال عبد الرزاق عن معمر عن قتادة لما ذكر الله تعالى العنكبوت والذباب قال المشركون: ما بال العنكبوت والذباب يذكران ؟ فأنزل الله «إن الله لا يستحي أن يضرب مثلا ما بعوضة فما فوقها»[١]، كما ذُكر الربط عند الإمامية في كتاب (بحار الأنوار) بأن «تفسير: « **أن يضرب مثلاً ما** « أي للحق يوضحه به لعباده المؤمنين أي مثلٍ كان «**ما بعوضة فما فوقها**» وهو الذباب، رد بذلك على من طعن في ضربه الأمثال بالذباب، وبالعنكبوت، وبمستوقد النار والصيب»[٢].

ومما تقدم نلحظ أن سبب النزول الذي يذكره المفسرون والمحدثون، يكاد يتطابق مع ما ذهب إليه الإمام عليه السلام، أي أن السبب هنا هو الذي ربط بين الآيات، إلا أن حديث الإمام عليه السلام كان أوضح في بيان تدرج الربط من الأعلى وهو العنكبوت والذباب نزولاً إلى البعوض.

نلحظ أن الكلمات (الذباب، البعوض، العنكبوت) لها تفسير ظاهر يربط بينها، وهو أنها جميعاً تنتمي إلى صنف واحد وهو صنف الحشرات، والتشابه يقع من هذا الجانب وهو التشابه في الصفات، وليس الأشكال فضلاً عن التشابه في الصنف (صنف الحشرات)، ثم إن هذه الحشرات تشترك أيضاً بخاصية أخرى وهي صغر حجمها، أي أنها على الرغم من صغرها وضآلتها لم يستح الله تعالى أن يضرب بها مثلاً، فـ«أراد الله أن ينبه بذلك المؤمنين على لطيف خلقه وعجيب صنعه «**فاستمعوا له**» أي استماع تدبر وتفكر «**إن الذين تدعون من دون الله** «يعني الأصنام ﴿**لن يخلقوا ذباباً**﴾ أي لا يقدرون على خلقه مع صغره ﴿**ولو اجتمعوا له**﴾ أي ولو تعاونوا على خلقه»[٣]، وكذا حين يقول الله تعالى: ﴿**ما بعوضة فما فوقها**﴾ فإن أحد التفسيرات التي ينقلها الطبرسي(ت٥٤٨هـ) عن العلماء أن معنى « «**فما فوقها**» في الصغر والقلة، لأن الغرض ههنا الصغر»[٤].

وكذا يشمل التفسير الذي يُفهم

(١) ابن كثير، تفسير ابن كثير، ج١، ص٦٧.

(٢) المجلسي، بحار الأنوار، باب الذباب والبق والبرغوث والزنبور والخنفساء والقملة والقرد والحلم وأشباهه، ج٦١، ص٣١٠.

(٣) ينظر، المجلسي، بحار الأنوار، باب الذباب والبق والبرغوث والزنبور والخنفساء والقملة والقرد والحلم وأشباهه، ج٦١، ص٣١٠.

(٤) الطبرسي، تفسير مجمع البيان، ج١، ص١٣٥.

العدد التاسع
السنة الخامسة
١٤٤٥هـ/٢٠٢٤م

من الآيات الكريمة – وهو ما ذكره بعض العلماء– بأن الأمثال التي ضُربت هنا بهذه الأنواع من الحيوانات الصغيرة دون غيرها من الحشرات الأخرى، هي للتحقير والاستصغار لهؤلاء المعاندين الذين لم يستطيعوا «جميعاً عن إبداع أصغرها وإنشاء أيسرها وأحقرها عندهم»[١]. وكأن الله تعالى هنا يقول ما معناه «ليس في ضرب المثل بالحقير للحقير عيب يستحيى منه»[٢].

وكذا يُلحظ أن الجانب المشترك الآخر بين هذه الحشرات الثلاث هو تميزها بأنها من الحشرات المؤذية[٣]، بدلالة قوله تعالى عن الذباب: «**وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ الذُّبابُ شَيْئاً لا يَسْتَنْقِذُوه مِنْه ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ**»[٤]، وكذلك ما رواه الكافي بسنده «عن أحمد بن أبي عبد الله البرقي عن أبيه عمن ذكره عن الربيع صاحب المنصور قال: قال المنصور يوما لأبي عبد الله عليه السلام وقد وقع على المنصور ذباب فذبه عنه ثم وقع عليه فذبه عنه، فقال: يا أبا عبد الله لأي شئ خلق الله عزّ وجلّ الذباب؟ قال: ليُذل به الجبارين.»[٥]، فهذا الحديث فيه دلالة واضحة على استطاعة الذباب تحقير وإيذاء البشر، فضلاً عما تنقله لهم من الأوبئة والأمراض.

أما البعوضة فيتمثل إيذاؤها بأنها فصيلة من الحشرات من رتبة ذوات الجناحين تتغذى إناثها على دم الإنسان وأكثر الحشرات الماصة للدماء انتشاراً، ويسبب المضايقة بلدغاته المتكررة، وينقل العديد من الأمراض منها الملاريا، كما يتغذى البعوض أيضا على دم الحيوانات والطيور، أنثى البعوضيات هي وحدها

(١) الشيخ الصدوق، التوحيد، ص٢٠٠.

(٢) الطبرسي، تفسير مجمع البيان، ج١، ص١٣٥.

(٣) ذُكر في الكتب العلمية أن الذباب والبعوض من أشد الحشرات إيذاءً، وأن البعوض هو العدو الثاني للإنسان بعد الذباب، ويسمى بالعامية الناموس، أو البرغش في جميع أنحاء العالم، وينقل البعوض للإنسان أشد الأمراض خطورة وأكثرها استدامة منها: الملاريا والحمى الصفراء وداء الفيل وحمى الضنك والتهاب الدماغ، ينظر: الدمنهوري، حسن إبريك، الحشرات وعلاقتها بالانسان، ص٣٥.

(٤) سورة الحج، الاية٧٣.

(٥) المجلسي، بحار الأنوار، باب قتل البقة والبرغوث والقمل في الحج، ج٦١، ص٣١١، الحديث الخامس. وسند الحديث «عن محمد بن علي ماجيلويه عن عمه محمد بن أبي القاسم عن أحمد بن أبي عبد الله البرقي عن أبيه عمن ذكره عن الربيع صاحب المنصور قال: قال المنصور.. الحديث».

مجلة بينات للدراسات القرآنية
العدد التاسع
السنة الخامسة
١٤٤٥هـ/٢٠٢٤م

التي تتغذى على الدم لأنه ضروري لنضج البيوض، في حين أن الذكر يتغذى على عصارة النباتات ورحيق الأزهار ولا ينقل الأمراض[١].

أي ان الإيذاء لا يقتصر على الذباب؛ بل هو موجود أيضاً في البعوضة، ولو دققنا في الآية الكريمة لوجدنا أن الله تعالى ذكر بعوضة بصورة مؤنثة؛ ذلك أن العلم الحديث أثبت بأن «البعوضة هي الحامل الرئيسي للحمى الصفراء، وتفشي المرض في البشر، وقد مات بسبب هذا المرض الملايين، إذ تقوم إناث البعوض بمص دم الإنسان، أما الذكور فإنها تتغذى على النباتات، ولعل الحكمة في ذلك ظاهرة في قوله سبحانه ﴿إِنَّ اللهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا...﴾ و لم يقل بعوضاً أو البعوض»[٢].

أما العنكبوت فسيأتي الكلام عن إيذائها ضمن الحديث عن الإعجاز العلمي المُكتشف حديثاً فيها، وبذلك يظهر أن القرآن في هذه الأمثال يبين ضآلة المشركين، وقلة حيلتهم، وضعف قدرتهم بالنسبة إلى العلي القدير، إذ ضرب لهم الأمثال في حشرات صغيرة ومحتقرة وبعضها مشمئز عندهم، فضلاً عن كونها مؤذية لنفسها ولغيرها.

وترى الباحثة أن جميع ما تقدم من مشتركات ينتمي إلى التفسير الظاهري، الذي يمكن فهمه من دلالة ألفاظ الآيات الكريمة، في حين أن للآيات الثلاث تفسيراً باطنياً تشترك فيه، وهو اشتراكها جميعاً في دلالة كل منهما على الإعجاز العلمي، الذي اكتشف حديثاً في هذه الحشرات- وإن لم يقله الإمام صراحة في الرواية-، والإشتراك يقع في قوله تعالى: **﴿وإِنْ يَسْلُبْهُمُ الذُّبابُ شَيْئاً لا يَسْتَنْقِذُوه مِنْه﴾** و**﴿وإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنْكَبُوتِ﴾** و**﴿ما بعوضة فما فوقها﴾**.

---

(١) ينظر: الدمنهوري، حسن إبريك، الحشرات وعلاقتها بالانسان، ص٣٥-٣٧.

(٢) يذكر الدكتور مصطفى إبراهيم حسن أستاذ علم الحشرات الطبية، مدير أبحاث ناقلا الامراض، كلية العلوم / جامعة الأزهر أن أنثى البعوض هي التي تتغذى على دم الإنسان وأن ذكر البعوض يتغذى على المواد السكرية ظ: الإعجاز العلمي في قوله تعالى **﴿إِنَّ اللهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا﴾** بحث منشور ضمن أبحاث المؤتمر العالمي العاشر للإعجاز العلمي في القرآن والسنة، الطب وعلوم الحياة، المنعقد بدولة تركيا ١٤٣٢هـ- ٢٠١١م: ٥٠. ويسمى البعوض بالعامية الناموس أو البرغش، ينظر: الدمنهوري، حسن إبريك، الحشرات وعلاقتها بالانسان، ص٣٥.

فقوله تعالى: ﴿وإِنْ يَسْلُبْهُمُ الذُّبابُ شَيْئاً لا يَسْتَنْقِذُوه مِنْه﴾ قد أثبته العلم الحديث، وما أكتشفه بعض العلماء أن «الذبابة بلا معدة، ولو سرقت الذبابة شيئًا من طعام الإنسان فلن يستطيع استرداده مهما فعل، وتوصل العلم التشريحي إلى أن الذبابة ليس لها معدة!! وقد أثبت العلم الحديث وجود إفرازات عند الذباب تقوم بتحويل كل ما تلتقطه إلى مواد مغايرة تمامًا لما التقطته؛ لذا فنحن لا نستطيع معرفة حقيقة المادة التي التقطتها، وبالتالي لا نستطيع استنقاذ هذه المادة منها أبداً. ومن المعروف طبعًا أن المعدة هي العضو الأساسي في هضم الطعام.. ولذلك تقوم الذبابة بإفراز مادة إنزيمية على المادة التي ستأكلها فتذيبها وهي خارج جسمها قبل أن تأكلها، ثم بعد ذلك تمتصها إلى أنبوبة داخل جسمها ويتم امتصاص الطعام فورًا إلى الدم، فلا تحدث مرحلة الهضم التي تجعل الطعام يبقى في معدة الكائن الحي، وحتى إذا شققنا الذباب لإخراج ما أكله فلن نجد شيئًا؛ لأنه كما ذكرنا آنفًا ليس له معدة»[١].

ولكن ما يلفت الانتباه أن بعض الكتب العلمية تشير إلى أن الحشرات ومن ضمنها الذباب تمتلك جهازاً هضمياً، ولكنه يتكون من المعى الأمامي والأوسط والخلفي بالإضافة إلى الغدد اللعابية[٢]، أما بشأن المعدة فقد ذُكر أن الذبابة المنزلية ثنائية الأجنحة وعن طريق التشريح الصوري الذي يذكره العالم (ويست ١٩٥١م) أنه يوجد معدة للذبابة، ولكن

---

(١) عوض، إسلام، معجزات القرآن في الذباب، موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة، ص٢٣٠. https://gate.ahram.org.eg.

أما الشيءُ الذي لا يكاد يُصَدَّقُ فهو أنّ جُملَتَها العصبيّةَ تشبهُ الجملةَ العصبيةَ عند الإنسانِ، وعينُ الذبابةِ غايةٌ في القوّةِ، وغايةٌ في قوّةِ الإبصارِ، ولها إدراكٌ عالٍ المستوى، وقد تتصرَّفُ بغضبٍ شديدٍ إذا ما لاح لها خطرٌ، فهي تغضبُ، وتتعلّمُ، وتحسُّ بالألمِ، ووزنُ دماغِها واحدٌ من مليونِ جزءٍ من الغرامِ، وهو يعملُ بأعلى كِفايةٍ، وفي الذبابة جُمْلَةٌ مِن الغُدَد، ولها ذاكرةٌ تستمرُّ دقيقتين.، وهذا المخلوقُ الضعيفُ الذي يشمئِزُّ الناسُ منه يستطيعُ أن يُنَاورَ مناورةً لا تستطيعُ أعظمُ الطائراتِ الحربيةِ وأحدثُها أنْ تفعلَ فعْلَها، إنها تسيرُ بسرعةٍ فائقةٍ بالنسبة إلى حجمِها، وتستطيعُ أنْ تنتقلَ فجأةً إلى زاويةٍ قائمةٍ، وتستطيعُ أنْ تنتقل من سقفٍ إلى سقفٍ، وهذا شيءٌ لا تستطيعُ طائرةٌ في الأرضِ أنْ تفعلَه، قال تعالى: «**ضَعُفَ الطالب والمطلوب**» ينظر: موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة، ص٢٣١.

(٢) ينظر: علم الحشرات المورفولوجي، التشريح – التحول – التقسيم، مجموعة من المؤلفين، ص١٢٦.

مع ذلك فإن الهضم لا يتم فيها، فضلاً عن ذلك يُلحظ في التصوير للقناة الهضمية الذي يعرضه الكتاب أن المعدة تكاد تكون بسمك الأمعاء ومتصلة معها في امتداد واحد[١]، ولعل هذا الأمر حدا بالعلماء إلى القول السابق بأن الذبابة لا تمتلك معدة؛ لأن «الذباب يعمل على فرز مادة أنزيمية فتذيب الطعام قبل أن تأكله ثم تمتصه داخل الأنبوب في جسمها وبذلك يذهب الطعام فوراً إلى الدم»[٢].

وحتى الكتاب المذكور آنفاً الذي يذكر المعدة في جسم الذباب نراه لا يوضح ماهية عملها بشكل دقيق، بل نراه يذكر الحوصلة، والقانصة، والمعى الأوسط وأنابيب ملبيجي، من دون ذكر وظيفة المعدة وأهميتها[٣].

وبناء على هذه الحقيقة فلا يمكن استنقاذ ما تأخذه الذبابة حتى مع تشريحها، وفتح أجزائها الداخلية، إذ إن ما تأخذه قد تحلل وتحول إلى مادة أخرى لا تشبه الأولى نهائياً.

أما العنكبوت فقد وصفها الله تعالى هي وبيتها بقوله: ﴿**وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنْكَبُوتِ**﴾، والتحقير والايذاء هنا متأتٍ ليس من أن بيتها واهٍ سريع الإزالة؛ كما يذكر ذلك بعض المفسرين؛ فقد ذكروا أن «العنكبوت هو دابة لطيفة تنسج بيتاً تأويه، في غاية الوهن والضعف»[٤] فحسب؛ بل أن هناك تفسيراً علمياً دالاً بشكل واضح على الإيذاء وخاصة هذه العبارة (**أوهن البيوت لبيت العنكبوت**)، يقول الدكتور محمد الفار استاذ علوم الكيمياء في جامعة المنصورة أن العلماء قاموا بدراسة طبيعة البيت العنكبوتي من الداخل، فوجدوا أن الذكر بعد أن يقوم بتلقيح الأنثى، تقوم الأنثى بافتراسه، وتتغذى على لحمه طيلة فترة الحضانة للبيض، وبعد أن يفقس البيض تتغذى اليرقات على أضعفها، ثم بعد أن يقوى ويشتد عود ما تبقى من الصغار، تقوم بأكل أمها؛ لأنها أصبحت أضعف الموجودات ثم يلقح الذكر الأنثى

(١) ينظر: علم الحشرات المورفولوجي، التشريح التحول التقسيم، مجموعة من المؤلفين، ص١٣٣. والكتاب مستند في معلوماته على مجموعة من الكتب العلمية الأجنبية والعربية.

(٢) رفان، سارة، عالم الحشرات، سلسلة الموسوعة المبسطة، ص١٨.

(٣) علم الحشرات المورفولوجي، التشريح التحول التقسيم، مجموعة من المؤلفين، ص١٣٣.

(٤) الشيخ الطوسي، التبيان، ج٨، ص٢١١؛ وينظر: الحلي، ابن إدريس، المنتخب من تفسير القرآن، ج٢، ص١٨٧.

العدد: التاسع
السنة: الخامسة
١٤٤٥هـ/٢٠٢٤م

ثم تقوم بأكله وهكذا دواليك.[١].

أما قوله تعالى في البعوضة: **(ما بعوضة فما فوقها)**. فقد توصل العلماء حديثاً إلى أنه «إذا أخذنا معنى **(فما فوقها)** على أنه فما فوق جسم البعوضة، فلقد وجدت كائنات دقيقة أصغر من البعوضة تعيش فوق جسمها من الخارج»[٢].

وما تجدر الإشارة إليه أنه ومع وجود هذا الإعجاز العلمي في كل من الآيات الثلاث؛ فإنه لا يمكن الجزم بأن المراد هو هذا الكائن الصغير فحسب؛ لأن صياغة الآية القرآنية تحتمل ما هو أصغر من البعوضة، وما هو أكبر منها كالذباب وغيره، وما هو فوقها مكانياً، ومع ذلك يمكننا القول بأن التفسير الباطن لهذه الآية والايات الأخرى المذكورة آنفاً، يُظهر أن الاكتشاف العلمي لما موجود في البعوضة والذبابة والعنكبوت، هو أحد الروابط بين هذه المخلوقات التي ذكرها الله، وتحدى بها الناس أجمعين.

وبعبارة أخرى فإن الباحثة ترى أن ما قدمه العلماء والمفسرون، في تفسير الآيات الكريمة هو تفسير عام للآية،

---

(١) كما يضيف الدكتور محمد الفار أن الوهن في البيت وليس في الخيط فخيوط بيت العنكبوت حريرية دقيقة جدا، يبلغ سمك الواحدة منها في المتوسط واحداً من المليون من البوصة المربعة، أو جزءاً من أربعة آلاف جزء من سمك الشعرة العادية في رأس الإنسان، وهي على الرغم من دقتها الشديدة فهي أقوى مادة بيولوجية عرفها الإنسان حتى الآن، ولذلك أطلق العلماء عليه اسم "الفولاذ الحيوي" أو "الفولاذ البيولوجي" أو "البيوصلب"، وهو أقوى من الفولاذ المعدني العادي بعشرين مرة، ومن الألمنيوم ٢٩ مرة وتبلغ قوة احتماله ٣٠٠,٠٠٠ رطلا للبوصة المربعة، فإذا قدر جدلا وجود حبل سميك بحجم إصبع الإبهام من خيوط العنكبوت فيُمْكِنه حَمل طائرة "جامبو" بكل سهولة. ينظر: بيت العنكبوت أقوى الخيوط وأوهن البيوت، https://islamonline.net.

(٢) الإعجاز العلمي في قوله (بعوضة فما فوقها)، مصطفى إبراهيم حسن، أستاذ علم الحشرات الطبية، مدير أبحاث ناقلا الامراض، كلية العلوم / جامعة الأزهر، مجمع البحوث الإسلامية، نشر بتأريخ: ٢٨/ سبتمبر ٢٠١٨م. والبحث منشور ضمن أبحاث المؤتمر العالمي العاشر للإعجاز العلمي في القرآن والسنة، الطب وعلوم الحياة، المنعقد بدولة تركيا ١٤٣٢هـ - ٢٠١١م، عنوان البحث (الإعجاز العلمي في قوله تعالى ﴿إِنَّ اللهَ لَا يَسْتَحْيِي أَن يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا﴾ ينظر ص٤٦- ٦١]. كما أن المؤلف (د. مصطفى إبراهيم حسن) له كتاب بنفس التسمية وهو بعنوان (الإعجاز العلمي في قوله تعالى ﴿إِنَّ اللهَ لَا يَسْتَحْيِي أَن يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا﴾، والكتاب ألكتروني منشور في الموقع s/ar-baaaoodatan-fama-fawqaha.pdf.

وتحليل لكلماتها، أما ما قدمه العلم الحديث فهو تفسير (علمي) لم يظهر إلا بعد آلاف السنين، ولهذا لا يمكن أن نقول أن المراد أحد التفسيرين؛ بل قد يكون الجمع بين تلك المعاني هو الأولى هنا، وهو الذي تظهر عظمة هذا القرآن، وملائمته لكل زمان ومكان.

وبعد أن ذكرنا ارتباط الآيات التي تذكر تلك المخلوقات بعظمة الله وقدرته في إبداعها ودقة خلقها، فإنه يلحظ وجود رابط أقوى - مضافاً إلى ما ذكرناه- بين الآيات الثلاث التي ذكرها الإمام العسكري عليه السلام في الرواية وهو دلالتها جميعاً على (**التوحيد**)؛ إذ يشير بعض العلماء إلى أن «عقيدة التوحيد هي في قول الله تعالى: ﴿**مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْعَنْكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنْكَبُوتِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ**﴾[1].

وكذلك قوله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُوا لَهُ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللهِ لَن يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوِ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِن يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ**﴾(الحج: ٧٣)، ومن علامات دلالتها على التوحيد، فضلاً عن ظاهرها ما روي «عن أَبِي عَبْدِ اللهِ عليه السلام قَالَ: كَانَتْ قُرَيْشٌ تُلَطِّخُ الأَصْنَامَ الَّتِي كَانَتْ حَوْلَ الْكَعْبَةِ بِالْمِسْكِ والْعَنْبَرِ وكَانَ يَغُوثُ قِبَالَ الْبَابِ وكَانَ يَعُوقُ عَنْ يَمِينِ الْكَعْبَةِ وكَانَ نَسْرٌ عَنْ يَسَارِهَا وكَانُوا إِذَا دَخَلُوا خَرُّوا سُجَّداً لِيَغُوثَ ولَا يَنْحَنُونَ ثُمَّ يَسْتَدِيرُونَ بِحِيَالِهِمْ إِلَى يَعُوقَ ثُمَّ يَسْتَدِيرُونَ بِحِيَالِهِمْ إِلَى نَسْرٍ ثُمَّ يُلَبُّونَ فَيَقُولُونَ - لَبَّيْكَ اللهُمَّ لَبَّيْكَ لَبَّيْكَ لَا شَرِيكَ لَكَ إِلَّا شَرِيكٌ هُوَ لَكَ تَمْلِكُه ومَا مَلَكَ. قَالَ: فَبَعَثَ الله ذُبَاباً أَخْضَرَ لَه أَرْبَعَةُ أَجْنِحَةٍ فَلَمْ يَبْقَ مِنْ ذَلِكَ الْمِسْكِ والْعَنْبَرِ شَيْئاً إِلَّا أَكَلَه وأَنْزَلَ الله تَعَالَى: ﴿**يا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُوا لَه إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ الله لَنْ يَخْلُقُوا ذُباباً ولَوِ اجْتَمَعُوا لَه وإِنْ يَسْلُبْهُمُ الذُّبابُ شَيْئاً لا يَسْتَنْقِذُوه مِنْه ضَعُفَ الطَّالِبُ والْمَطْلُوبُ**﴾[2].

وكذلك قوله تعالى الدال على توحيد: ﴿**إِنَّ اللهَ لَا يَسْتَحْيِي أَن يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَيَقُولُونَ مَاذَا أَرَادَ اللهُ بِهَٰذَا مَثَلًا يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا**

(١) الحيدري، السيد كمال، الفلسفة، ج١، ص٨.

(٢) الكليني، الكافي، باب النوادر، ج٤، ص٥٤٢، الحديث الحادي عشر.

العدد التاسع
السنة الخامسة
١٤٤٥هـ/٢٠٢٤م

الْفَاسِقِينَ﴾ (البقرة: ٢٦).

المطلب الثاني: الربط بين التفسير المادي والتفسير المعنوي عن طريق علاقة البيان والتفسير.

قد يُقال أن علاقة التفسير والبيان هي من قبيل تفسير القرآن بالقرآن، إلا أن الباحثة ترى بأن التفسير والبيان هنا يشتمل على آيات متعددة وليس آيتين أحدهما مبينة أو شارحة للأخرى كما في تفسير القرآن للقرآن، هذا من جانب ومن جانب آخر فإن الآية التي يتم الربط بها هي واضحة المعاني، وهي مبينة في نفسها، إلا أن وجود معنى آخر هو الذي يستلزم الربط بينها وبين عدد من الآيات في سور متعددة لبيان المعاني المتحققة جراء ذلك الربط.

ومن الأمثلة عليه ما « قاله الإمام العسكري عليه السلام: قال الله عزّ وجلّ: ﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ﴾[١] عست، وجفت ويبست من الخير والرحمة، قلوبكم معاشر اليهود ﴿مِنْ بَعْدِ ذلِكَ﴾[٢] من بعد ما بينت من الآيات الباهرات في زمان موسى عليه السلام، ومن الآيات المعجزات التي شاهدتموها من محمد. (فَهِيَ كَالْحِجارَةِ) اليابسة لا ترشح برطوبة، ولا ينتفض، منها ما ينتفع به، أي أنكم لا حق الله تعالى تؤدون، ولا من أموالكم ولا من مواشيها تتصدقون، ولا بالمعروف تتكرمون وتجودون، ولا الضيف تقرون، ولا مكروبا تغيثون، ولا بشيء من الإنسانية تعاشرون وتعاملون.....وهذا الذي قد وصف الله تعالى به قلوبهم ههنا نحو ما قال في سورة النساء ﴿أَمْ لَهُمْ نَصِيبٌ مِنَ الْمُلْكِ فَإِذًا لَا يُؤْتُونَ النَّاسَ نَقِيرًا﴾[٣] وما وصف به الأحجار ههنا نحو ما وصف، في قوله تعالى: ﴿لَوْ أَنْزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُتَصَدِّعًا مِنْ خَشْيَةِ اللهِ﴾[٤]»[٥].

نلحظ هنا أن الإمام عليه السلام فسّر الآية من سورة البقرة ﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذلِكَ فَهِيَ كَالْحِجارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً وَإِنَّ مِنَ الْحِجارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهارُ وَإِنَّ مِنْها لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْماءُ...﴾[٦] وبيّن معناها، من دون الحاجة إلى آية أخرى

(١) سورة البقرة، الاية ٧٤.

(٢) سورة البقرة، الاية ٧٤.

(٣) سورة النساء، الاية ٥٣.

(٤) سورة الحشر، الاية ٢١.

(٥) تفسير الإمام العسكري، ص٢٨٣.

(٦) سورة البقرة، الاية ٧٤.

تفسرها، ثم قام في نهاية حديثه بربطها بآيتين كريمتين واحدة من سورة النساء آية (٥٣)، وواحدة من سورة الحشر آية (٢١)، فربط مرة بالقلب، وربط مرة أخرى بالحجارة.

والمتأمل في الرواية الشريفة يرى أن الإمام العسكري عليه السلام ذكر تفسيرين لقساوة القلوب:

الأول: تعلقها بالدين، أي أفعالهم المتعلقة بتصديق الأنبياء ومعجزاتهم، ومن ذلك قول الإمام عليه السلام (**من بعد ذلك**) من بعد ما بينت من الآيات الباهرات في زمان موسى عليه السلام، ومن الآيات المعجزات التي شاهدتموها من محمد).

الثاني: تعلقها بالدنيا، أي أفعالهم المتعلقة بتنفيذ أوامر الله في الدنيا، ومن ذلك قول الإمام (إنكم لا حق الله تعالى تؤدون، ولا من أموالكم ولا من مواشيها تتصدقون، ولا بالمعروف تتكرمون وتجودون، ولا الضيف تقرون، ولا مكروبا تغيثون، ولا بشيء من الإنسانية تعاشرون وتعاملون.).

في حين نلحظ أن أكثر المفسرين قد ذكروا أن القسوة المقصودة هنا هو انكار اليهود المعجزات التي ظهرت أمامهم فقست قلوبهم عن تصديقها كإحياء الميت ببعض من أجزاء البقرة، وهذه آية عظيمة كان يجب على من شاهد هذا أن يخضع ويلين قلبه، والآيات الأخرى التي كمسخ القردة والخنازير، ورفع الجبل فوقهم، وانبجاس الماء من الحجر، وانفراق البحر.. وغير ذلك[١].

وترى الباحثة أن الربط بين الآيات- الذي سبق ذكره- تمثل بذكر الإمام القسوة المادية في البداية، ودليل ذلك قوله (عست، وجفت، ويبست)، أي شبهها تشبيهاً مادياً بقسوة الحجارة، اليابسة الجافة التي (لا ترشح برطوبة، ولا ينتفض، منها ما يُنتفع به،) كالماء، وكذلك قلوبهم معاشر اليهود فهي «في قسوتها مثل الحجارة (أو أشد قسوة) منها، والمعنى: أن من عرفها شبهها بالحجارة أو قال: هي أقسى من الحجارة، أو من عرف حالها شبهها بالحجارة أو بجوهر أقسى منها»[٢].

ونلحظ هنا أن التفسير المادي متأتٍ

---

(١) ينظر: الشيخ الطوسي، التبيان، ج١، ص٣٠٦؛ ينظر: تفسير الرازي: ج٣، ص١٢٨؛ وينظر: الكاشاني، فتح الله، زبدة التفاسير، ج١، ص١٧١.

(٢) الشيخ الطبرسي، تفسير جوامع الجامع، ج١، ص١١٧.

العدد التاسع
السنة الخامسة
١٤٤٥هـ/٢٠٢٤م

من التفسير للآية الكريمة، ذلك أن «مِنَ الْحِجارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْه الأَنْهارُ) التفجّر التفتّح بسعة وكثرة. والمعنى: أنّ الحجارة تتأثّر وتنفعل، فإنّ منها ما يفتّح بخروق واسعة تندفق منه المياه الكثيرة، وتتفجّر منه الأنهار العظيمة»[١]، ومن المعلوم أن المكان الذي تكون فيه المياه سينتشر فيه الخير الكثير وستنبت عنده الأشجار، وستزدان الحياة في ذلك المكان بالصور الجميلة عن الطبيعة التي ستختلف بالطبع فيما لو كان المكان من دون ماء، فالماء دليل على النماء.

ولكي يقوم الإمام بتصوير هذا المعنى(المادي) وربطه بما في قلوبهم، قال: «وهذا الذي قد وصف الله تعالى به قلوبهم ههنا نحو ما قال في سورة النساء **أَمْ لَهُمْ نَصِيبٌ مِنَ الْمُلْكِ فَإِذًا لَا يُؤْتُونَ النَّاسَ نَقِيرًا**)[٢] « والنقير: النكتة- أو النقطة- في ظهر النواة. »[٣]، والمعنى أن قلوبهم لو كانت رقيقة لتفجر منها الخير، مثل الحجارة الرقيقة التي تفجرت بالأنهار وكثر عندها الخير والنماء، فكذلك قلوبهم لو كانت رحيمة بالناس؛ لأدوا حقوق الناس من أموالهم ومواشيهم، ولأقروا الضيف، ولأغاثوا المكروب، ولعاشروا الناس بالمعروف، ولكن على العكس فهم لا يعطون مقدار النقطة في النواة، بعكس الحجارة التي تعطي أنهاراً من خير وسعة.

أي أننا نلمس وجود التفسير المادي في الاثنين، عن طريق التشابه بين الماء، الدال على السعة والكثرة والنماء الذي يخرج من الحجارة الرقيقة، وكذلك الأمر بالمعروف والزكاة والصدقات الدالة على السعة والكثرة في أعطاء الأموال التي تخرج من القلب الرقيق، وكلاهما في النهاية يصب في خانة الخير(المال والماء).

ولعل ما يؤيد ذلك قول اليهود لرسول الله ﷺ وسلم بعد أن هجاهم القرآن: إنك يا محمدﷺ «تدعي على قلوبنا ما الله يعلم منها خلافه، إن فيها خيراً كثيراً: نصوم ونتصدق ونواسي الفقراء.»[٤]، وهنا جاء إطلاق معنى الخير على إعطاء الأموال ومساعدة الفقراء والتصدق، أي تفسيراً مادياً.

(١) الكاشاني، فتح الله، زبدة التفاسير، ج١، ص١٧١.

(٢) سورة النساء، الاية ٥٣.

(٣) مصطفوي، حسن، التحقيق في كلمات القرآن، ج١٢، ص٢١٨.

(٤) ذُكر الحديث كاملاً في صفحة ١٨ من هذا البحث، وقد رد عليهم النبي ﷺ بما بمعناه بأن ما تفعلونه لا تريدون به وجه الله ولكن لمآرب أخرى...

مجلة براثا للدراسات
العدد التاسع
السنة الخامسة
١٤٤٥هـ/٢٠٢٤م

ولكي يبين الإمام المعنى المُراد، قام بربط الآيات مع بعضها ليبين تفسير الآية التي ذكرها ابتداءً، فالقلب القاسي لا يخرج منه الخير، أي المساعدة والصدقات والزكاة... وغير ذلك من أنواع الخير، والحجارة القاسية لا يخرج منها الخير، وهو الماء الذي لا يمر على مكان إلا أحياه فينبت النبات وترعى الحيوانات.

ومع وجود التفسير المادي إلا أن التفسير المعنوي موجود أيضاً، فالقلب الذي يتأثر بمطالعة الدلائل والآيات والعبر؛ يكون تأثره معنوياً؛ أي ليس تأثراً مادياً؛ ويتضح عن طريق ترك التمرد والعتو والاستكبار وإظهار الطاعة والخضوع لله والخوف من الله تعالى[١]، وكل تلك الصفات هي معنوية، وهذا الأمر قد أشار إليه الإمام العسكري عليه السلام حينما ذكر قوله تعالى: ﴿**لَوْ أَنْزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُتَصَدِّعًا مِنْ خَشْيَةِ اللهِ**﴾[٢]، في نهاية حديثه ليشير إلى إرتباطه، بالآية الأولى التي ذكرها وهي قوله تعالى: «**وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللهِ وَمَا اللهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ**»[٣]، فالهبوط لغة بمعنى النزول يُقال «هبط هبوطاً: نزل. وهبطه هبطاً، أي أنزله.»[٤]، ولعل المقصود هنا ليس النزول المادي؛ بل يُلحظ وجود إشارات معنوية دالة على الخشوع، والطاعة لله وعدم الاستكبار والتمرد والعتو، ولا يكون ذلك إلا بعد مطالعة الدلائل والمعجزات للانبياء، وأعظمها معجزة القرآن الكريم، والقلب حينما يخضع ويخشع لله تعالى تظهر عليه علامات معنوية كترك الاستكبار وعدم التمرد وترك العتو والعناد، وطاعة الله تعالى والخشوع له، وكأن التفسير المعنوي هنا مرتبط بعلاقة الإنسان مع ربه، بخلاف التفسير المادي السابق الذي كان مرتبط بعلاقة الإنسان بالإنسان.

وبناء على ما تقدم نلحظ أن الإمام قام بربط الآيات الثلاث ليدل على التفسير المادي مرة، والتفسير المعنوي، مرة أخرى، وكل ذلك جاء عن طريق بيان وتفسير الآيات بعضها ببعض.

(١) ينظر: الرازي، تفسير الرازي، ج٣، ص١٢٨.

(٢) سورة الحشر، الاية ٢١.

(٣) سورة البقرة، الاية ٧٤.

(٤) الجوهري، إسماعيل بن حماد، الصحاح (تاج اللغة وصحاح العربية)، باب الطاء فصل الألف، ج٣، ص١١٦٩، مادة (هبط).

مجلة آل البيت عليهم السلام
العدد: التاسع
السنة: الخامسة
١٤٤٥هـ/٢٠٢٤م

الخاتمة

قد يقال أن أهل البيت عليهم السلام[١] لم يستعينوا بالمنهج الترابطي لبيان الآيات الكريمة وتفسيرها، إلا أن البحث وبعد القيام بتحليل النصوص الروائية التفسيرية للإمام العسكري عليه السلام، قد توصل إلى جملة من النتائج المهمة، وأبرزها :

١- استعانة الإمام العسكري عليه السلام بمنهج الربط بين الآيات القرآنية المتعددة؛ من أجل تفهيم تلك الآيات وبيانها وتفسيرها، وقد تنوع ذلك الربط بين أن يكون لفظياً مرة، ومعنوياً مرة أخرى.

٢- توصل البحث إلى أن الترابط اللفظي بين الآيات القرآنية الواردة في الروايات التفسيرية للإمام العسكري عليه السلام، قد تنوع بين أن يكون عن طريق تكرر اللفظ بعينه، أو أحد مشتقاته، أو يكون عن طريق مجيء ألفاظ تنتمي إلى حقل دلالي واحد، من دون أن يكون جذرها اللغوي نفسه.

٣- إن الترابط اللفظي بين الآيات أنتج لنا معانٍ جديدة لم تكن لتوجد لو فسرنا الآية بمعزل عن الآيات الأخرى، أي أن الترابط اللفظي قد يكون سبباً في أختلاف المعاني مع أن الألفاظ المتكررة متشابهه، وقد يكون سبباً في تعدد المعنى أي مع الاحتفاظ بالمعنى الأصلي مع أن الألفاظ متقاربة.

٤- وجد البحث أن الربط في روايات الإمام العسكري عليه السلام لا يقتصر على الترابط اللفظي بل يتعداه إلى الترابط المعنوي، الذي لا يمت إلى تكرار الألفاظ أو تقاربها دلالياً بصلة؛ بل يكون عن طريق دلائل معنوية أو قرائن معنوية تعين على ذلك الربط، فالقارئ للآيات قد يرى أن لا رابط يربط بينها؛ لاختلاف ألفاظها وتباين معانيها، إلا أن الربط بينها يُسهم في تكوين المعنى الأدق، وأيضاح الدلالة المتوخاة المشتركة بينها.

٥- إن الترابط المعنوي يتنوع بين أن يكون ترابطاً بين التفسير الظاهري والتفسير الباطني بالاستعانة بعلاقة التشابه، أو يكون ترابطاً بين التفسير المادي والتفسير المعنوي بالاستعانة بعلاقة البيان والتفسير.

٦- وترى الباحثة أن مثل هذه الأبحاث تُسهم في بيان التفسير الأدق

---

(١) الباحثة لديها عدد من البحوث قيد النشر، وقد توصلت فيها إلى استعمال الأئمة الأطهار لمفهوم التفسير الترابطي في رواياتهم.

للآيات الكريمة المترابطة بالاستعانة بأقوال أئمة أهل البيت عليهم السلام الواردة في هذا الجانب وتحليلها، ومن ثَمّ مقارنتها بما ذكره المفسرون في هذا النطاق، إذ قد يكون المُفسر قد فسر الآية منفردة من دون ربطها بآيات أخرى، فقدم لها معنى يختلف عما ذكره الإمام في الرواية عن طريق إشارته إلى الأواصر الموجودة بينها والتي لم يُشر لها غيره من المفسرين الآخرين.

قائمة المصادر والمراجع:

القرآن الكريم

١. ابن منظور، محمد بن مكرم بن على أبو الفضل، جمال الدين(٧١١هـ)، لسان العرب، نشر أدب الحوزة، محرم ١٤٠٥هـ.

٢. آل موسى، علي، التدبر الموضوعي في القرآن الكريم - قراءة في المنهجين التجميعي والكشفي -، دار كميل للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط١، ٢٠٠٩.

٣. البغوي، أبو محمد الحسين بن مسعود (٥١٦هـ)، معالم التنزيل في تفسير القرآن (تفسير البغوي)، حققه وخرج أحاديثه محمد عبد الله النمر، عثمان جمعة ضميرية، سليمان مسلم الحرش، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط٤، ١٤١٧هـ، ١٩٩٧م.

٤. البلاغي، محمد جواد، آلاء الرحمن في تفسير القرآن، مطبعة العرفان، صيداء، ١٣٥٢هـ - ١٩٣٣ م.

٥. التبريزي، محمد صالح السند، بحوث في مباني علم الرجال، المطبعة سرور، مدين، قم، ط١، ١٤٢٦هـ.

٦. تفسير الإمام العسكري، المنسوب إلى الإمام العسكري عليه السلام (ت ٢٦٠هـ)،

تحقيق، مدرسة الإمام المهدي عليه السلام، مطبعة مهر، قم المقدسة، الناشر مدرسة الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف، قم المقدسة، ١٤٠٩.

٧. الجنابي، سيروان، الإطلاق والتقييد في النص القرآني (قراءة في المفهوم والدلالة)، ديوان الوقف الشيعي، العراق، ط١، ١٤٣٢هـ، ٢٠١١م.

٨. الجوهري، إسماعيل بن حماد (٣٩٣هـ)، الصحاح (تاج اللغة وصحاح العربية)، تحقيق أحمد عبد الغفور العطار، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط٤، ١٤٠٧ هـ، ١٩٨٧م.

٩. حسن، مصطفى إبراهيم، الإعجاز العلمي في قوله (بعوضة فما فوقها)، أستاذ علم الحشرات الطبية، مدير أبحاث ناقلات الأمراض، كلية العلوم / جامعة الأزهر، مجمع البحوث الإسلامية، نشر بتأريخ: ٢٨/ سبتمبر ٢٠١٨م. والبحث الكامل منشور ضمن أبحاث المؤتمر العالمي العاشر للإعجاز العلمي في القرآن والسنة، الطب وعلوم الحياة، المنعقد بدولة تركيا ١٤٣٢هـ - ٢٠١١م.

١٠. الحلي، ابن إدريس (٥٩٨هـ)، المنتخب من تفسير القرآن والنكت المستخرجة من كتاب التبيان، تحقيق السيد مهدي الرجائي، إشراف السيد محمود المرعشي، مطبعة سيد الشهداء عليه السلام، قم المقدسة، ط١، ١٤٠٩هـ.

١١. الحنفي، محمد مرتضى الحسيني الواسطي الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، دراسة وتحقيق علي شيري، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع بيروت، لبنان، ١٤١٤هـ، ١٩٩٤.

١٢. الحيدري، السيد كمال، الفلسفة، تحقيق الشيخ قيصر التميمي، المطبعة ستارة، الناشر دار فراقد للطباعة والنشر، ط١، ١٤٢٩، ٢٠٠٨ م.

١٣. دروزة، محمّد عزّة، التفسير الحديث ترتيب السور حسب النزول، دار الغرب الإسلامي، القاهرة، مصر، ط٢، ١٣٠٥، ١٤٠٤ هـ، ١٨٨٧، ١٩٨٤م.

١٤. الدمشقي، عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن كثير القرشي (٧٧٤هـ)، تفسير القرآن العظيم (تفسير ابن كثير)، قدم له الدكتور يوسف عبد الرحمن المرعشلي، دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ١٤١٢ هـ، ١٩٩٢م.

١٥. الدمنهوري، حسن إبريك، الحشرات وعلاقتها بالإنسان، مكتبة الإيمان للنشر والتوزيع بالمنصورة، ط١،

مجلة تراث المعارف
العدد: التاسع
السنة: الخامسة
١٤٤٥هـ/٢٠٢٤م

١٤١٩هـ، ١٩٩٨م.

١٦. الرازي، فخر الدين أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي (٦٠٦هـ) تفسير الرازي – التفسير الكبير – مفاتيح الغيب، د. مط، د.ت.

١٧. الزركشي، بدر الدين محمد بن عبد الله (٧٩٤هـ)، البرهان في علوم القرآن، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، ط١، ١٣٧٧هـ، ١٩٥٨م.

١٨. السيد الخميني (ت١٤١٠هـ)، الرسائل، التحقيق مع التذييلات مجتبى الطهراني، طبع ونشر مؤسسة اسماعيليان، للطباعة والنشر والتوزيع، د. ط، ربيع الأول ١٣٨٥.

١٩. السيوطي، جلال الدين (٩١١هـ)، الإتقان في علوم القرآن، تحقيق مركز الدراسات القرآنية، مجمع الملك فهد، المملكة العربية السعودية، د. ت.

٢٠. الشاهرودي، علي النمازي (ت١٤٠٥هـ)، مستدرك سفينة البحار، تحقيق وتصحيح الشيخ حسن بن علي النمازي، الناشر مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين، قم المشرفة، د ز ط، ١٤١٨هـ.

٢١. الشيرازي، الشيخ ناصر مكارم، الأمثل في تفسير كتاب الله المُنزل، د.مط، د.ت.

٢٢. الشيرازي، صدر الدين محمد (ت ١٠٥٠هـ)، أسرار الآيات، تحقيق محمد خواجي، المطبعة: چاپخانه وزارت فرهنگ وآموزش عالى، الناشر: انتشارات انجمن اسلامي حكمت وفلسفه إيران، محرم الحرام ١٤٠٢، آبان ١٣٦٠ ش.

٢٣. الصدوق (ت٣٨١هـ)، التوحيد، تحقيق وتصحيح وتعليق السيد هاشم الحسيني الطهراني، الناشر مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين، قم المشرفة، د.ط، د.ت.

٢٤. الطبرسي، أبو علي الفضل بن الحسن (٥٤٨هـ)، مجمع البيان في تفسير القرآن، تحقيق وتعليق لجنة من العلماء والمحققين الأخصائيين، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات بيروت، لبنان، ط١، ١٤١٥هـ، ١٩٩٥ م.

٢٥. الطبرسي، الشيخ أبي علي الفضل بن الحسن (٥٤٨هـ)، تفسير جوامع الجامع، تحقيق مؤسسة النشر الاسلامي، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين، قم المشرفة، ط١، ١٤١٨هـ.

٢٦. الطريحي، فخر الدين (١٠٨٥هـ)، تفسير غريب القرآن، تحقيق وتعليق محمد كاظم الطريحي، انتشارات زاهدي، قم، د.ت.

٢٧. الطريحي، فخر الدين (١٠٨٥هـ)، مجمع البحرين، تحقيق، احمد الحسيني ومرتضوي، انتشارات كتابفروشى مرتضوي، طهران، إيران، ط٢، ١٣٦٢ش.

٢٨. الطوسي، أبو جعفر محمد بن الحسن (٤٦٠هـ)، التبيان في تفسير القرآن، تحقيق أحمد حبيب قصير العاملي، مكتب الإعلام الإسلامي، دار إحياء التراث العربي، ط١، ١٤٠٩هـ.

٢٩. عالم الحشرات المورفولوجي، التشريح- التحول- التقسيم، مجموعة من المؤلفين، المكتبة الأكاديمية، القاهرة، ١٩٩٧م.

٣٠. عالم الحشرات، سارة رفان، سلسلة الموسوعة المبسطة، زهرة للنشر الالكتروني والمطبوع، بوسعادة – الجزائر، د. ت.

٣١. عرار، مهدي أسعد، جدل اللفظ والمعنى، دار وائل للطباعة والنشر، عمان، الأردن، ط١، ٢٠٠٢.

٣٢. الفقي، صبحي إبراهيم، علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق، دار قباء القاهرة، مصر العربية، ط١، ٢٠٠٠م.

٣٣. فؤاد أبو حطب، آمال صادق، كتاب نمو الإنسان من مرحلة الجنين إلى مرحلة المسنين، نشر مكتبة الأنجلو المصرية، ط٤، د.ت.

٣٤. الكاشاني، الملا فتح الله (٩٨٨هـ)، زبدة التفاسير، تحقيق مؤسسة المعارف، نشر مؤسسة المعارف الإسلامية قم، ايران، ط١، ١٤٢٣هـ.

٣٥. الكليني، أبو جعفر محمد بن يعقوب بن إسحاق (ت٣٢٩هـ)، الكافي، صححه وقابله وعلق عليه علي أكبر الغفاري، دار الكتب الاسلامية، طهران، إيران، د.ط، ١٣٦٧هـ.

٣٦. المازندراني، محمد بن علي بن شهر آشوب (٥٨٨هـ)، متشابه القرآن ومختلفه، مكتبة البوذر جمهري المصطفوي، طهران، ١٣٢٨هـ ش.

٣٧. المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار في تفسير المأثور للقرآن، إخراج وتنظيم، كاظم المراد خاني، مؤسسة الطور للنشر، مطبعة ١٧ شهريور، طهران، ط١، ١٤١١هـ.

٣٨. المجلسي، محمد باقر، مرآة العقول في شرح اخبار الرسول، تحقيق وتقديم العلم الحجّة السيّد مرتضى العسكري، إخراج ومقابلة وتصحيح السيد هاشم الرّسولي، الناشر دار الكتب الإسلامية، ط٢، ١٤٠٤هـ.

٣٩. مصطفوي، الشيخ حسن، التحقيق في كلمات القرآن الكريم، مطبعة چاپخانهء كاويان، طهران، ١٣٦٠ ش.

٤٠. النابلسي، محمد راتب، موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة، الناشر دار المكتبي، سورية، دمشق، ط٢، ١٤٢٦ هـ، ٢٠٠٥ م.

٤١. نجم، إقبال وافي، البعد الترابطي في القرآن الكريم - دراسة تفسيرية -، مطبعة دار الوارث للطباعة والنشر، الأمانة العامة للعتبة الحسينية المقدسة، ط١، ٢٠١٥م.

المقالات العلمية

٢٤. إسلام لاين، بيت العنكبوت أقوى الخيوط وأوهن البيوت، https://islamonline.net.

٤٣. عوض، إسلام، معجزات القرآن في الذباب، https://gate.ahram.org.eg.